ضيية تأسر قلب المنذر

مملكة الضباع 2

أسماء الأوجلي

إهداء

إلى شقيقاتي الآتي شجعني على المواصل الكتابة و إلى حلم برئى تشاركته من صديقات عمري إلهام و إبتهال و فطيمة
أهدى هذا العمل , و إلى أمى الغالية حفظكي الله لى و رحم الله روح والدى العزيز أسال الله أن يتغمد روحه الطاهرة بالرحمة و المغفرة

شكر خاص لـ

Sundus Mohammed

على التحرير النص و تصميم الغلاف

{١٥}

في خيمة الملك ، رقد جسد شهرزاد البار و قد علا وجهها ابتسامة باهتة .. أخذ الملك ينظر إلى حبيبته الميتة و قد غدت جثة هامدة بعد أن كانت مليئة بالحياة .. لم يرى المنذر دمعة واحدة تنزل من عيني الملك ، بل ظل واجما و جامعا يديه خلف ظهره .. أما قيس قد أخذ يلمس وجه والدته الأبيض و جبينها الوضاح و يقبل خديها و دموعه تغسل وجهها بغزارة .. وضع المنذر يده على كتف قيس و قال له : يا أخي ... تعال معي..

و أمسكه فمشى قيس بهدوء و مازال مصدوما و أخذ المنذر يفرك له يديه و أعطاه كأس من الماء..

فشربه و أعاد النظر إلى المنذر و أخذ يتمتم شيئا غير مفهوم ..

- رفو عليها التراب .. رفو على هذا الجسد الطاهر ..

أخذ الحراس و العبيد يحملون شهرزاد حتي ما استودعوها في الحفرة نفذوا أمر الملك بصمت .. ثم قال لمن معه : أما الأن فنعلن الحداد لثلاثة أيام .. و نكمل طريقنا للقصر الشتوي ..

ثم نظر إلى القبر بعين واهنة و لكنه تمالك زمام أمره و قال : فيكمل الأمراء الطريق .. و عاد للخيمة و ظل فيها وحده لا يجرأ أحد على الكلام معه أو دخول خيمته .. فتح الرق بيد مرتجفة و هو الذى كان خائفا من ما فيه .. نعم كان الخوف في صدره فلم يتجرأ على قراءة هذه الرسالة حتي رأى جسدها تحت التراب بعينيه .. نعم كان في الرسالة شهرزاد هذه بعض الحقيقة حول موتها و هو يعلم ذلك تماما ..فقرأ ما فيها :

{ مولاي الملك .. مولاي أنا جاريتك شهرزاد .. أنا التي وقعت بين يدى جنودك فسبوني ، و قد ظننت أني سألقي الموت في كفنك يا مولاى .. و لكني لقيت عطف الملك .. نعم يا مولاى أنا مجرد جارية و لكني حالما أرى نفسي في عينيك يا سيدى ، فأنا بهذه النظرة وحدها أتحول إلى ملكة

.. و كنت طلبت منك أن تهبني حياتي و لكنك لم ترضا .. فلما لم تفعل .. كنت أرى

نهايتي و موتي في عينيك كما أرى سعادتي و هنائي .. و لكن نفسي أبت أن تفارق هذا الجسد في أحد قصورك .. ففضلت أن أموت حيث وجدتني أول مرة .. حيث بدأت قصتنا ..لا أريد أن ترى طيفى في قصورك لذا دعني أجوب وحيدة في هذا الطريق .. بين أشجار حوران و البلقاء .. أتنفس من هوائها لعلني أستنشق فيها أنفاسك الزكية{

كان هذا ما كتبته شهرزاد للملك .. فهم عندها أنها قد شربت السم بإرادتها .. ضغط الرسالة إلى صدره و قد أحس أن نفاسه الحارة تلتهب في صدره فتجرج حمما بركانية .. فلما ليس قادرا على البكاء..؟

- لما يا شهرزاد .. تركتني و أنا في أمس الحاجة إليك ..

- لعلنا نأجله يا مولاى ..

- لا نفعل .. بل يتم في حينه .. فبعد أيام تصل الأميرة مع وصيفاتها و كوكب و ظبية فنفتح يوم الجمار يا منذر ..

فسكت المنذر محترما رغبة الملك ، و قد كان الملك بعد موت شهرزاد قلقا كثير الظنون ، تجعد جبينه من الهم و إن أبدى القوة والشدة فإن المنذر كان يرى في عينيه الحزن و الأنكسار .. أما قيس فلم بتركه المنذر وحيدا أبدا بل إن قيس أخذ وقته كله يمضيه في التجول في الغابة أو يناقش أمور البلاد مع الملك .. و لم يعد القيس ذلك الأخ الحنون الذى إعتاد عليه المنذر فكانت أيام المنذر في القصر الشتوى هادئة و كئيبة .. فوالدله مكفهر الوجه و قيس يفكر في أمور لا يعلمها أحد و اليفع مازال في القصر الأبيض ، و سيأتى مع النساء و الأميرة و بنات الأمراء يقودهن للملك ..و ظبية التى كان خيالها يداعب عقل المنذر كلما خلآ لنفسه فينفض وجهها من عقله و يصبر نفسه حتي يوم الجمار ليرى ما يكون من أمر الملك .. كما أن الملك قد حدد بداية الحرب في نهاية الشتاء .. فيخرج الملك ليلقي الملك العراقي عامل الفرس في عاصمته الحيرة ..

- خطر لى خاطر يا سيدتي ..
- ما هو ..؟
- أن يتم الأمر الذى تذكرين دون أن يعلم أنسي بذلك ..
- و كيف ذلك يا بنت الروم ؟
- بل أن عبدة مولاتي الملكة ؟
- أفصحي يا ماريا ..
- و تعطيني الأمان يا مولاتي ..

رمتها الملكة بنظرة قاسية متعالية و قالت : قولى و أنتي أمنة ..

- نستعين بأعداء الملك..

فوقفت الملكة فزعة من هذا الخاطر الذى يجول في ذهن خادمتها و قالت : عودى عن هذه الخواطر و لا تذكريها ثانية ..

ركعت ماريا خوفا من غضب سيدتها و قالت : أصفحى عنى يا مولاتي .. و إنما أنا عبدتك .. و لا أتمني غير سعادتك و رضاك ..

أمسكت الملكة بإحدى مخدات الريش و رمتها على وجه ماريا غاضبة و قالت بحدة : لا تعودى لمثل هذا و إلا قطعت رأسك ..

إرتعشت ماريا خوفا و دارت الدموع حول عينيها و حبست أنفاسها ..فتابعت الملكة : و هل تستعين زوجة الملك العربي بأعداء زوجها .. بل هل سمعتي بعربي يستعين بعدوه على أخيه العربي يا ماريا .. لا .. فأنتي رومية .. و لكن العرب لا تفعل ذلك و لو على قطع رقابها ..

عادت الملكة للجلوس و نظرت للعبيد مفكرة في ماريا و هذا الأمر الجلل .. بينما تابعت ماريا همسا يكاد يكون دبيب النمل : مولاتي .. إن كان العربي لا يفعل ذلك .. فأنا الرومية عبدتك ..أفعل ذلك لأنال رضاك ..

فلم تنظر إليها الملكة .. فخافت ماريا و ندمت لأنها أفصحت عن أفكارها و تمتمت و شفتاها ترتجفان : يا مولاتي .. لقد وهبتك حياتي لك خالصة .. فلكى أن تتصرفى فيها كما تشائين ..

ضحكة الملكة سمية : أتهبينني حياتك و هي ملك لى يا ماريا ..

- أنتي يا مولاتي تملكين جسدى فلك أن تدفنيه أو تحرقيه أو تعفي عنه .. و لكني أهبك الوفاء و الأخلاص ..

سكتت الملكة مفكرة في إقتراح ماريا ..

- إذا أهبك حريتك يا ماريا إن تم هذا الأمر ..

فقالت ماريا برجاء و إستعطاف : و ما أفعل بحريتي يا مولاتي و أنا في بلاد العرب .. فلا نفع لى إلا إذا خدمتك و أخلصت لك .. بل أفضل أن أرمى بنفسى في الفرات في سبيل رضاك و ساعدتك ..

فقالت الملكة و هي تلعب بيدها ببعض المسك في صحن صغير قرب سريرها ، فتحركه لينتشر عطره الأخاذ : إذا أمرك أن ترمى بنفسك في الفرات يا ماريا.. في بلاد العرب عمال الفرس .. أتفعلين يا ماريا ..

فقالت ماريا بفرح : نعم يا مولاتي .. فليس لى إلا ذلك .. و ما كنت لأعصى أمرك ..

فضحكت الملكة بمكر و قالت :

إذا تذهبين الأن يا ماريا ..

و شاء القدر أن تستمع لهذه المحادثة الخطيرة التي تتأمر فيها الملكة مع خادمتها الرومية .. و تشهد على ذلك أعين نقية ذات روح صالحة تكره الفساد .. فمشت مبتعدة عن هذه الهالة السوداء ألتى عنت غرفة الملكة حتي تلبدت السماء بالغيوم و كتم الأمر ..

{١٦}

بعد أن خرج الملك مع أميريه قيس و المنذر ليروآ شهرزاد .. كان اليفع في بلاط الملك جالسا على العرش رافعا ذقنه بكبر و تعالى متلذذا بشهوة الجلوس على هذا الكرسى و كان عروة بن أسود بن جندل و هو نديم و حارس ولى العهد .. يهمس في أذنيه برفع عصا الشقاق و المطالبة بالعرش قبل أن يقوم الملك بنفيه ..

- كيف تراني يا عروة ..

- أراك أحق من أنجال الملك بهذا الكرسى .. فكأنما خلق لتجلسه وحدك ..

إلتمعت أعين اليفع غرورا بينما قال عروة نافثا سمه : ألا ترى مولاى الملك لا يخطوا خطوة قبل أن يعلم بهذا الأمير قيس .. و لا يقرر أمرا حتي يأخذ معه المنذر ..

فكشر اليفع و قال : و ما معني هذا ..

- معناه يا مولاى أن الملك يفكر في جعلهما صاحبي الكلمة الأولى في بلاطه .. و ينسى ولى عهده المنكوب .. فما ذنبك إن كانت عشيرة والدتك قد نفاها الملك عن البلاد ..

- و إن كان الملك نفاهم فما قصدك من ذكر ذلك الأن ..

تبسم عروة و قال ببراعة رافعا كتفيه علامة الإستغراب : ألا تعلم يا مولاى قصة ذلك ..؟

نظر اليفع إلى عروة بقهر و شهر بالإهانة لأنه لم يكن يعلم حقيقة الأمر و سكت ثم قال : حدثنا بما تعلم لعل الذكريات تعود و الحقيقة تنجلى يا حارسنا ..

فقال عروة : إن القصة يا مولاى .. أن الملك أطال الله عمره لما ولدت والدتك رفع مقام العشيرة و جعلهم أصحاب السلطان الأول بعد الملك .. بل جعل إخوة مولاتي الملكة المتوفاة أركان الجيش و جعلهم أمراء على بعض القبائل .. و لم يكن لدى بنى ثعلبة ما لهم الأن عند الملك .. و لكن بنى العباس و بنى ثعلبة أرادوا التقرب من مولانا الملك فعرض كل منهم إحدى بناتهم لتكون الملكة بعد أن ماتت والدتك ..

قاطعه اليفع قائلا بضجر : نعم و قام بفصل الأمر في يوم الجمار .. فقد فازت الملكة سمية بنت العباس و أصبحت الملكة ..

فقال عروة : لا يا مولاى .. لم يتم الأمر هكذا بل إن عشيرة الملكة المتوفاة أرادوا أن

يتزوج الملك منهم ثانية ..و لكن النقاش حول ذلك أصبح حادا حتي قرر الملك أنه لن يتزوج .. حتي تنتهي حربه و كان في حاجة ماسة للدعم ..

فرفع اليفع عنقه لعروة ليستمع جيدا .. و أكمل عروة : إلا أن والد الملكة سمية إقترح أن يقيم الملك سباقا بين خيول بنى ثعلبة و نبى العباس و عشيرة الملكة المتوفاء .. و لكن أحد الفرسان لاحظ أن لجام فرس بنى العباس قد قطع .. فإحتدم الجدال و كادت تشتعل حربا بين القبائل الثلاثة .. و لكن الملك حقق في الأمر و وجد أن المنذنب من عشيرة والدتكم يا أميرنا اليفع .. و طبعا كان هذا إفترائا من بنى العباس فغضب الملك لذلك و قام بقطع رأس الفارس فغضب له أهله و غادر بعضهم البلاد بينما قام البعض الأخر منهم بطلب عفو الملك فعفآ عنهم .. و لكن الشرف و الزمان لا يعفو فحصلت عدة إصطدامات بين بنى العباس و عشيرة الملكة المتوفاة .. حتي قام الملك بنفيهم جميعا فخرجوا من حمى الملك ، غاضبين حانقين و خلا الجو لبنى العباس و وعدوا الملك أن يدعموه في حربه .. و كانوا كذلك بل إن

خلقا كثيرا منهم ماتوا في الحرب فقام الملك لتقريبهم و تزوج الملكة سمية .. بعد أن سمموا قلبه و عقله حتى عليك يا مولاى .. فأصبح

الملك لا يهتم بك و أهملك تماما ، و غدآ يرافق معه أولاده قيس و المنذر و ينسى ولى عهد .. الذى غدآ بلا أخوال له يساندونه و يرفعون من شئنه ..

و هكذا إستمر عروة يلهب صدر ولى العهد على الملك و أخوته ..فأصبح اليفع لا يطيق نظرا إلى المنذر ، أما قيس فكان لا ينظر إليه لأنه إبن

لجارية رومية .. و في ذات الوقت قبل أن يصل أمر الملك بحضور اليفع مع النساء للقصر الشتوى كانت زبيبة في جناحها و قد حصل لها مالم يكن في الحسبان ..

- مولاتي .. إن سلمى بنت عامر النشبي تشكو تعبا ..

إستغربت زبيبة قول وصيفتها و قالت : وصيفتنا سلمى .. إذا دعى الطبيب يزرها و أخبريني بالخبر ..

خرجت الوصيفة لتنفذ أمر سيدتها .. ولكنها بعد ساعة عادت مسودة الوجه ..

- ماذا أخبرك الطبيب ..

فلم ترد الوصيفة ..تعجبت زبيبة : هل مرضها خطير لهذا الحد ..؟
- لا يا مولاتي .. لا نعلم إن كان مرضا أو غير ذلك ..
فعبست زبيبة و رمت إناء من فضة في يدها على الوصيفة : أتهزئين بي يا بنت الأشراف ..
فتكلمت الوصيفة و قالت : العفو أرجوا يا مولاتي الأميرة و لكن ..
قاطعتها زبيبة قائلة : أفصحى عما جئت به أو إنصرفى عن وجهي ..
- مولاتي .. إن سلمى ترفض أن يراها الطبيب .. و لما أصررت عليها بكت و نحبت و حاولت أن ترمى نفسها من شرفة القصر ...
فتلون وجه زبيبة و قالت : سنرى ما بال وصيفتها بأنفسنا ..
و مشت إلى غرفة سلمى ، فلما رأتها سلمى تدخل نهضت و قد كان وجهها شاحبا و خداهآ مبللتان بالدموع : مولاتي..ليس قصدى إزعاجك يا مولاتي ..
فلم تقل زبيبة شيئا و لكنها جلست على سرير بهدوء .. و نظرت إلى سلمى و قالت : بلغني أنكي مريضة يا سلمى ..
- نعم يا مولاتي ..
- و أنك رفضتي أن يراك الطبيب بعد أن أرسلناه إليك ..
فإحمر وجه سلمى و قالت : عارض خفيف لا يستحق القلق يا مولاتي ..
تفرست زبيبة في وجهها و رأت شفتيها ترتجفان فأشفقت عليها .. و لكنها إدعت الغضب و لعبت دور الملك لتعرف ما تخفى عنها وصيفتها : لم أسمع يوما عن وصيفة تمرض فترفض أن يعلم الطبيب سبب دائها و علتها ..
فسكتت سلمى و أنزلت عينيها لأرض ..
- و تقلق مولاتها حتي تأتي بقدميها لتجدها تدلل عليها ..
فقالت سلمى و قد بدأت دموعها تنهر : مولاتي العفو ..
- و لا تجيب على سؤال سيدتها أيضا ..
فترنحت سلمى و قالت زبيبة بغضب : هل تشرفين عامر النشبي بعصيانك أخت الملك ..؟

فقالت بصوت مبحوح : لم أقصد التقصير في واجباتي ..
فقطعتها زبيبة : بل فعلتي .. و لسوف تخرجين فلا أحتاج لآل النشبي في قصر الملك ..
فبكت سلمى بمرارة و ركعت تقبل رداء زبيبة : ليس ذبني..أدفنى جسدي في التراب و أقطعى عنقي يا مولاتي ، و لكن العار الذى ألحقته بوالدى لن يمحى إلا بعفوك و رحمتك ..
فقالت الأميرة بغضب : أتركى ردائى .. فلست أهلا لتلمسى بردتي حتي ..
فسكتت سلمى و قالت : نعم يا مولاتي ،. لست أهلا لذلك،أفضل أن أحمل إلى عشيرتي جثة هامدة و لا أرى نظرت الخذلان في عينى والدى
.. أو أسمع الهمهمات حول بنى النشبي ..
فقالت الأميرة مدعية نفاذ صبرها ، و هي تقف بتكبر : إذا تعودين حية و ترين ذلك .. أو تفصحين لى عما يجول في قلبك من أسرار يا بنت النشبي ..
فعادت سلمى للبكاء حتي كادت تفقد وعيها و ترنحت .. فنادت زبيبة على الجارية و قد خافت على سلمى : أحضرى بعض الماء ..
فجرت الجارية و أحضرت كأسا كبيرة من الماء و شربت سلمى منه فهدأت .. قالت زبيبة : و الأن يا سلمى أخبرينى بما يقلقك و لا تخفى عني أمرا ..
فسكنت سلمى و نظرت إلى الأميرة و رأت على وجه زبيبة الشفقة و تمتمت : أمنحينى الأمان يا مولاتي ..
فضحكت الأميرة و قد خطر لها أن سلمى تخفي أمرا لا يدعوا لهذا الخوف .. و لكنها أجابتها : أعطيتك الآمان .. فتكلمى ..و لا تختبرى صبرى فقد كاد ينفذ ..
تنفست سلمى و قالت بصوت خفيض : تعلمين يا مولاتي أن الأمير اليفع قد عاد من مهمته الأخيرة في البحرين .. و عندما عاد للقصر كان ..كان..
- كان الملك مع المنذر في طريق العودة من الحملة ..
فإرتعش صوت سلمى و قالت : كنت يا مولاتى ذاهبة لغرفتي عندما رأيت ..
و عادت سلمى لسكوت ..
- رأيتى ماذا .. تكلمي يا سلمى ..

-عروة بن أسود بن جندل و الأمير اليفع..رأيت عروة يحمل مولاى الأمير و قد كان الأمير يهذى و ليس بوعيه ..

- وكيف رأيته و جناح ولى العهد في الجانب الأخر من القصر ..؟

بلعت سلمى ريقها و قالت : رأيتهما في الرواق ثم رأيت عروة يترك مولاى الأمير عند إحدى زوايا الرواق ، ليحضر أحد الحراس ليساعده على حمله .

.. و قفت أنظر لأمير و قد كان محمر الوجه و سكرنا و ليتني لم أنظر .. ليتني عدت فورا و لم أقف..

فخفق قلب زبيبة و شعرت أن في كلامها مصيبة قد تهز العرش .. أكملت سلمى : ثم يا مولاتي عاد عروة مع الحارس و حمالآ الأمير ، فرأني الأمير و قال لى : تعالى يا جارية إلى.. و لكن الأمير عاد فنسى ما أراد قوله و إرتخي رأسه على صدره .. فقال عروة : إفتحي الباب .. ففعلت ذلك ..و قال لى عروة أبعدى الحراس عن الطريق كي لا يروا الأمير بهذه الحالة .. ففعلت ذلك ثم عدت فوجدت الأمير جالسا على سريره و قد كان عروة يشربه الماء ليفيق ..و لكن حالته لم تزد إلا سوأ.. فإنزعج و رمى بوسادة على وجه عروة و صرخ فيه : أخرج فلست أريد إلا الشراب ، فأطاع عروة ذلك و مشي خارجا و لكنه قبل خروجه هددني و توعدني يا مولاتي ..

فقالت الأميرة بأسى و قد خجلت من تصرفات إبن أخيها : و بما توعدك .. و هل يجرأ على ذلك و هو يعرف أنكي وصيفتي ..

فقالت سلمى : لا يا مولاتي .. لقد ظن أني إحدى الجوارى و هددني بالقتل إن علم أحد بأمر الأمير .. و طلب منى أن أظل مع الأمير و خرج ..

فقالت زبيبة : لهذا أراك في هذه الحالة .. لقد مضى زمن على عودة الملك للقصر .. فلماذا بدآ عليك القلق و الخوف الأن .. و لم تظهرى من أمرك شيئا قبلا ..

سكتت سلمى ، و شعرت زبيبة أن هذه هي بداية الحكاية فقط ..فقالت سلمى و هي تكابد الدموع : لا يا مولاتي .. و لكن الأمير أمسكني من يدى و لم يسمح لى بالخروج و أخذ كأسا من شراب مر .. و أجبرني على شربه .. و قد كان كريها طعمه .. فلما فرغت من شربه .. بعد ذلك ..

تلكلكت سلمى و غطت وجهها .. فقالت زبيبة : ويحك..ألم تخرجي من غرفة الأمير يا سلمى ..

فعلآ صوت بكاء سلمى و قالت تخنقها العبرة : لا أذكر شيئا غير ذلك يا مولاتي .. فلما فتحت عينى في الصباح كان الأمير نائما على سريره .. و كنت بالقرب منه .. فخرجت بسرعة و عدت لغرفتى و لم يعلم أحد بما جرى ..

فظهر الإشمئزاز على وجه الأميرة و قد كرهت أن يكشف أحد أفعال الأمير المخزية .. و نظرت نظرة شفقة إلى سلمى و قالت : و هذا ما حدث..

فقالت سلمى : بل للحديث بقية يا مولاتي ..

فبهتت زبيبة و قالت : أبيت اللعين .. أخبرني .. و أنا لكي مصغية ..

- إن عروة علم بذلك ، و علم بعد مدة أني وصيفة لك ..

فإرتجف فم زبيبة و قالت : ويحك يل بنت عامر . ماذا فعل عروة ..؟

- أمس يا مولاتي بعد خروج مولاى الملك إلى القصر الشتوى .. جاء إلى و حدثني أنه يملك دليلا على كونى كنت في غرفة الأمير ..و طلب منى أن ..

فقالت زبيبة و قد نفد صبرها : و ما طلب منك ذلك اللعين ..؟

فنزلت دموع سلمى و قالت : لقد أخذ من غرفتي قلادة يا مولاتي .. و كانت تلك القلادة هدية منك لى..و أخبرني بل خيرني إما أن أذهب لغرفة الأمير اليوم ليلا و إلا فضح أمرى ..

فإهتزت زبيبة .. و غضبت لكرامة وصيفتها..و أخذت تجوب الغرفة ذهابا و إيابا و سط نظرات سلمى اليائسة .. و توقفت فجأة متجهة إلى سلمى قائلة : أسمعي يا سلمى .. هذا الحديث لا يعلمه أحد غيرى .. لا إنس و لا جن غيرى أنا..

فهزت سلمى رأسها موافقة و قد أحست أن الأميرة تسلوا عن مصابها قليلا ..

- و الأن تنامين في غرفتي و لا تفارقيني أبدا .. فإرتجفت سلمى و قالت : و ماذا عن حديث عروة لى يا مولاتي ..؟

فتبسمت سلمى قائلة : اليوم نزور إبن أخينا اليفع و نقعد معه ..

فلم تفهم سلمى .. ماذا تريد زبيبة أن تفعل بهذه الزيارة و لكنها سكتت و سلمت

أمرها لسيدتها .. تدبر لها لتحمى شرفها و إسم عشيرتها بنى النشبي من الهوان و ذل و العار ..

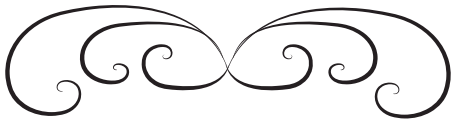

{١٧}

- كنت أبيع القرفة و العود يا مولاى ....

- أراك تعود للكذب يا جاسوس عامل الروم ..

- لا و الله .. بل أذكر لك إسمي ..

فظهرت إبتسامة فاترة على وجه الجالس على العرش و قال : أذكره لنا لتعرف عنك ما تجهله أنت نفسك ..

- مالك بن أنبل بن العباس .. يا مولاى ..

- و لك أخ يدعى زبيد بن أنبل ..

فبهت مالك و إصفر وجهه و علم أن الموت يطل عليه .. من وراء هذه الإبتسامة في شفتى الملك العراقي .. و لكنه تمالك نفسه قائلا : نعم يا مولاى .. هو كذلك .. و أزيدك علما لتثق في عبدك المخلص لك .. أن لك جاسوسا في قصر عامل الروم عرين في الشام ..

فنظر كل من في البلاط إلى مالك و قال الملك : أما هذه صدقت فيها .. و ما فعل جاسوسنا ..

فقال مالك رافعا رأسه بشجاعة أمام الموت : قد أرسلني إليك يا مولاى لأن عامل الروم قد كشفه و مات يا مولاى ..

فتلون وجه الملك غيضا و سأل : أفعلها عامل الروم ..

فضحك مالك و قائل بثبات : بل و أكثر يا مولاى..فإن عامل الروم قد قتله شر قتلة ، فقد جمع رجال بلاطه شهد عليه ثم رماه من إحدى شرفات قصره .. فسقط إلى الأرض فتهشم جسده و تناثر دماغه في حديقة القصر ..

فصاح الملك غضبا : فليعلم أننا قد أكرمنا جاسوسه أيضا و جسده يسبح بحرية في الفرات الأن ..

فخفق قلب مالك و تذكر أن أحد جواسيس الملك الظبعي لم يعد منذ شهرين .. و قد وصلت أخبار عن موته و لكن أحدا لم يؤكد ذلك .. قال الملك ل مالك : أسألك سؤالا الأن فإن أجبت عنه وثقنا بك.. ؟

- كلى أذان و أعين يا مولاى ..

- ما إسم جاسوس عامل الروم يا مالك ..؟

- صفوان بن عمرو يا مولاى ..

- صدقت .. و كم عدد جيش عامل الروم .. ؟

- عشرون ألفا يا مولاى ..

- صدقت ثانية .. و لكننا لا نأمن لك .. يا جلادنا عليك بالسيف و دونك رأسه فايطر إلى الفرات بضربة واحدة ..

فتقدم الجلاد فسرعة وجرد سيفه كالصاعقة نزل على رأس مالك ... مالك بن أنبل المسكين الذى جاء من قبل ملك الشام الظبعي ليتجسس على ملك العراق .. و لكن بعض الجنود قد أمسكوه و أخذوه إلى بلاط الملك..ليلقي الموت هناك ..

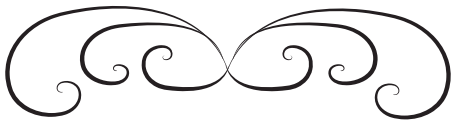

- أوصلت كوكب يا سلمى ..

- نعم يا مولاتي .. و هي تستعد الأن ..

- تجهزي إذا يا سلمى فسوف تشاركين أيضا ..

إتسعت عينا سلمى و قالت : أنا يا مولاتي ..

فضحكت زبيبة و قالت : نعم أنتي و تشارك وصيفتى فاتنة و صفية أيضا ..

فسكتت سلمى بينما كانت زبيبة جالسة في صدر خيمتها الواسة .. المفروشة بالسرير الواسع من الحرير و حوله و سائد لتجلس عليها الملكة .. عن يمينها وصيفتها ثم عن يسارها وصيفات زبيبة الأتي وقفن ليتجهزن ، و وضعنى على وجوههن اللثام و علآ وجه زبيبة تعابير الثقة و الأنتصار .. و كانت بين الفينة و الأخرى تنظر إلى الملكة ثم تبتسم لها برضا .. و في خيمة أخرى أكبر و أعظم أبهة و إتساعا ، توسطها عرش الملك من العاج جلس عليه الملك و عن يمينه ولى العهد و عن يساره المنذر و قيس .. ثم قائد الجيش حمزة الثعلبى و قائد الرماه إبن عم الملك يدعى عمر بن نائل بن جندل .. و هو والد عروة الخبيث ، ليس والده بل هو من رباه رغم أن عروة يكون إبن عم الملك أيضا .. إلا أن عمر قد في عمر الملك تقريبا يناهر الأربعين و قد كان الملك يحترمه و يكن له الحب لإخلاصه للملك .. ثم كان زبيد قائد الحرس الملكى و ندماء و المستشارين و باقي رجال البلاط و حراس الخيمة و تطل على الخيمة ساحة واسعة تتسابق فيها الخيول و ترى فيها الأهداف.. و السيف و الرماح و كل أدوات الحرب مصفوفة و مرتبة بعناية ..

- لما في رأيك يا قيس .. قد جعل يوم الجمار للفرسان و النساء أن يتلثمن فيه ، فلا نعلم من الملكة و الوصيفة ..؟

فقال قيس و قد تنبه له كل من في الخيمة ليسمعوا جوابه : لأن الجمال يا مولاى يبهر العيون و يعمى العقل وللعرب حمية تغلب الحق و تجلب الدمار .. فكان علي النساء أن يتلثمن و يتحولن للباس الفرسان .. فلا نرى سوى ضربات سيوفهن و قوة بصيرتهن ..

فضحك الملك قائلا : أحسنت يا أميرنا .. و أنت يا أبا كرب ، ماذا تقول في هذه العادة المتبعة لدينا ؟

نظر الملك إلى المنذر و قد عم خيمة الملك الإستبشار .. فلم يروا ثغر الملك يتبسم منذ وفاة جاريته شهرزاد ، و قال المنذر مفكرا : أظن يا مولاى .. بل أجزم أن جدنا عرين الأول مؤسس هذه المملكة قد فصل في أمر زواجه من نساء القبائل الآتي عرضين عليه .. و ليسكت الأفواه و يرضى سادة العشائر فيحافظ على العرش .. جعل النساء من

كل قبيلة تخفي وجهها و نسبها و تتبارون ليرى الحاضرون فراستهن و بعد نظرهن .. فكانت أحسنهن هي الملكة زوجته يا مولاى .. فتزوجها و سكت كل زعماء و رضوا بذلك ، و كانت تلك الفكرة لا تخطر على قلب بشر .. و هذا يثبت بعد نظر جدنا الملك عرين الأول المبجل و ثبات و نقاء سريرته و حكمته التي نراها فيك اليوم يا مولاى ..

فهز الملك رأسه موافقا و قال : و هذا ما سنفعله اليوم لولى عهدنا اليفع .. فقد عرض أن أزوجه لإحدى بنات البلقاء و الحوران و لكننا نسكت الأفواه و نحسم الجدال .. كما فعل جدنا الأول الملك عرين الظبعي .. فلتأتي بنات الأشراف و الأمراء لنرى مهارة كل منهن في طعن السيوف و رمى السهام ..

فإلتمع الحقد في عينى اليفع ، و سكت مطيعا والده الملك .. أما المنذر فقد كان قلبه شعلة من نار ، و رأى قيس ينظر إليه مبتسما و كتم زبيد ضحكة كادت تفلت منه لما رأى وجه المنذر..

و إرتعشت الشفاه تحت خيمة الملك و سكنت الأنفاس مفكرين بما يجول في عقل الملك و ما سيقرره .. و كان قد أومأ على كاتبه أن يستعد إن قرر شيئا ، بينما كان الجلاد جاهزا وراء الملك..

- فليتقدم الفرسان الملثمين و لا يركب فارس فرسه ..

فسمع صوت همهمات الفرسان و هم يتبادلون أفراسهم ..فقال عمر بن نائل بن جندل قائد الرماة : كل فارس لديه جولتين بالفرس فقط .. و من يصيب كل الأهداف يفز بالجائزة ...

فسأل وائل بن بارف : و ما هي الجائزة يا مولاى ؟

فقال الملك مبتسما : نعطى كل فارس بقدر فراسته و نغمره بإحساننا.. فمن يلقي الإستحسان يكن حارسا لنا ..

ثم أشار على قائد الرماة ليبدأ السباق ، و لكن صوتا علآ و تقدم من صفوف إلى وسط الخيمة.. و كانت الأميرة زبيبة قد جاءت مع سلمى و وصيفتيها صفية و فاتنة ..

- ألا تسألنا مولاى الملك أن نشارك أيضا ..

فنظر الملك إلى زبيبة و قال بحنان : بل نعطى كل ما يجول في خاطر الأميرة .. فتدللى

علينا .. فنحن اليوم راضون..
و بفخر قالت الأميرة : إذا لا أشارك في السباق و لكن وصيفاتي يشاركن ..
- لكى ذلك و أكثر يا أميرة بنى جندل ..
- و التي تلقى إستحسان الملك و رضاه بفوزها في السباق منهن تخطب يا مولاى بلسانك ..
فعجب الملك و قال : نعم يا أميرتنا نفعل .. فهل لكى أن تزيدى في الدلال ..
فضحكت زبيبة و قالت : و أزيد في دلالى يا مولاى ..
- نعم .. و لا نرد لكى طلبا..
فسكتت ثم ألقت نظرة إلى المنذر و وائل و قالت بهدوء : تزوج الفائزة لأميرك ولى العهد يا مولاى..
فإرتفع حاجبآ الملك و ضحك قائلا : ما أعجب كلامك يا أميرتنا ..
فتلون وجه وائل غيظا و حبس أنفاسه ، و عجب المنذر و قيس من ذلك بينما قال الملك بهدوء : و تصرين على طلبك .. أليس لكى خاطر غيره يا زبيبة..
فقالت بصبر : لا شيئ أخر يا مولاى ..
فلاح بعض الأمل أمام بعض العيون .. بينما مرت سحابة سوداء فوق عيون أخرى .. بل تلبدت لتصبح غيوما تلقي بصواعق البرق على صدور .. فتلتهب حقدا وبعضها حسدا ..
فقال الملك و لم تتغير ملامح وجهه : إذا تتلثم وصيفاتك ..و نرى من منهن تأخذ رضانا و تخطب لولى العهد ..
فتأخر الفرسان للوراء ليروا ما يكون من أمر الوصيفات الثلاثة .. تقدمت الفارسات ملثمات و أعطى قائد الرماه إشارة البدأ .. فبدأن برمي النبال و الرماح على الأهداف ، فكانت الأولى قد أخطأت هدفين فخسرت .. و أما الثانية فقد أصابت كل الأهداف ، و تقدمت الثالثة فوق فرسها و رمت الهدف فإخترقه كله حتي مر من نصفه السهم .. فعلت أصوات الأستحسان و لم يقل الملك كلمة واحدة ..بل نظر إلى وائل الذى كان يبحث بعينه عن ظبية بين الفرسان في الخلف ، فلم يهتدى إليها .. و أخذت الفارسة تركض فرسها حتي وصلت لهدفها الأخير فرمته و إخترقه للجلد المثبت في خلف الهدف

على بعد خمسة عشر خطوة .. فعمت الخيمة صيحات الذهول .. فقال الملك ضاحكا : أرى بجلاء من الفائز ..

تقدمت الفارسات الثلاثة و كانت الأولى هي فاتنة و الثانية نزعت اللثام عن وجهها .. نظر الملك للثلاثة فتفرس فيها فلم يعلم من هي حتي نزعت لثامها .. و كانت سلمى بنت عامر النشبي ..

فتبسم الملك و قال : هنيئا لعامر فهو نسيبنا و قد صاهرناه ..

فنظر الملك لليفع فرد فورا : رضيت يا مولاى ..

تابع الملك إقرار أمره : عندما نرجع للقصر تزف سلمى إلى ولى العهد ..

فقال عامر النشبي و قد كان نديم الملك : فليحفظ الله الملك .. فلا نبغي إلا رضاه ..

ثم تقدم مع سلمى فركعا و قبلا رداء الملك ، فقال لعامر : تكون نسيبنا و تدخل علينا في البلاط نديما و قائدا للمشاة ...

فبكى عامر فرحا و تمتم كلمات الشكر .. و ضع الملك يده على رأس سلمى و قال : يا سلمى أجلسي قرب أختنا زبيبة .. فأنتي زوجة لأميرنا اليفع برضانا و موافقتنا ..

فإرتعشت سلمى و قبلت يد الملك و ذهبت لتجلس قرب زبيبة .. فإحتضنتها الأميرة قائلة : قد رددت لكي شرفك يا سلمى و اليوم أنتي أختي ..

فقالت سلمى بين دموعها : مولاتي الأميرة .. لن أنسي فضلك ما حييت ...

و قبلت يدها ..

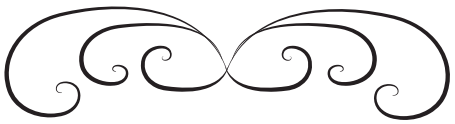

- اليوم يا صاحبي نخرج لنرى الأحباب و الأصحاب .. فقد طال الغياب و هذا القلب لم يعد يستطع شيئا مع لوعة الفراق ..

- نعم يا صاحبي .. و أرجو أن يمضي سيرنا بخير و لا يدركنا رجال سابور .. و إلا و الله لا

ننجو بل نكون طعاما للديدان في هذه الأرض الحارة ، أرض العراق ..
- فلنكمل السير إذا .. و نختفي عن الأنظار قبل أن يبلج الصباح على أسنة السيوف فتراق دمائنا..

ركب الظلال المتحدث للناقة و ركب صاحبه و سارا معا حتي انقضت ثلاثة أيام بلياليها ، فقرا أن يريحا قليلا فقد جاوزا منطقة الخطر .. و سأل هذا الأول صاحبه : الأن و ليس من سامع أو متنصت .. فأعلمني بالخبر الذى دفعك لمجلس سابور ..
تنهد صاحبه و قال : ذلك شيء يسير يا صاحبي.. و لكني لمستوجب العجب فكيف دخلت أنت مجلس سابور و هو يعلم أنك من أعدائه .. و قد وثق بك و لم يقطع رأسك ...
فتبسم الأول و قال : أما حكاية ذلك فطويلة و تسمعها أمام مولاى الملك .. حالما نمثل أمامه.. فمتي نصل إليك يا أرض الأحباب .. يا أرض حوران و البلقاء ..
فسكت الثاني و اكملا المسير وحدهما يكتنفها الهم .. و قد كان كل منهما في خياله يرى و يتوق إلى تلك اللحظة التي يريان فيها الأهل .. بعد هذه الغيبة الطويلة ..
فأما من هما ... ؟ فستعرف من سياق القصة .. و لكن ما يهمنا أن كلا منهما التقي بصاحبه في وكر العدو .. في بلاط سابور ملك العراق ، عامل الفرس .. و هما الأن يحثان الخطى إلى الوطن .. بدم حار و قلب تواق لينعم بهواء حوران .. هواء الوطن

******

لمعت أمام ناظري الملك تلك الخناجر الصغير يطرقها الفارس .. فتهوى متساقطة بخفة و سرعة على الحلقات التي كانت تطير في الهواء .. و عمت خيمة الملك بل الساحة كلها دهشة المنظر و مهارة الفارس الذى أخذ يركض بفرسه و يرمى الأهداف بخفة و قوة .. بل أن الملك قد خفق قلبه و رقص بين أضلعه لذلك المنظر المبهر .. من البراعة و المهارة و صاحوا .. : هذا و الله فارس يستحق اسمه هذا فارس بدم حوراني..
و تعالت صيحات الإعجاب و البهجة من الفرسان الذين قد انتهوا من دورهم .. و بقى معظمهم يتفرجون بشوق و لهفة منتظرين أن يسفر هذا الفارس ليروا من يكون ..
علت وجه وائل بن بارف ابتسامة باهتة ، بينما كان حمزة الثعلبي يدور بعينة باحثا

من كوكب ابنته ببن الفارسات وفي خيمة زبيبة فلم يجدها ..
- الا تريد يا مولاى بعض المرح ..
قالها وائل بينما وقف على قدميه و أخذ أحد الألواح و رماه للسماء ..فلمع تحت الشمس .. فرأى الملك ذلك الفارس يرميه بخنجر صغير فيطيح باللوح عند قدمي الملك .. و قد غرس الخنجر في قلبه ..
فزفر الملك ابتهاجا و قال : أسفر على وجهك .. و الله لو كنت من الفرسان لجعلناك قائدا ثاني للجيش .. و إن كنت من النساء فقد خسر الملك شيئا لا يعوض أبدا ..
فضحك المنذر و ترقب أن يرى وجه الفارس .. و سكت الجميع ليروا هذا الوجه الذى ذهل له الملك ... و قال الفارس و هو يضع يده على وجهه : إذا قد خسر الملك و عليه أن يجزيني الجزاء الحسن..
فتنهد الملك و قد علم أن الفارس من النساء و قال : أسفري فقد جازينك بما تريدين .. أما المنذر فقد بهت و قد عرف هذا الصوت فهو لظبية بلا شك .. نفس الصوت الذى قابلته به في الغابة .. صوت قوى .. شجاع و ثابت .. و شقت وجه وائل ابتسامة براقة و فخورة بابنته ظبية .. ألتي تقدمت بهدوء للملك الذى ضحك قائلا : لولا أنك خلقت امرأة ما فرطنا فيك يا ظبية .. فأسلى الملك ما تريدين ..
فسكتت ظبية و قالت : لا أسئلك الأن يا مولاى .. بل نأجل ذلك لحينه ..
فضحك الملك و قال : نخاف أن تسألينا التاج يا ظبية ..
- لا يا مولاى .. لا نريد التاج و لكن الزمان لا يؤتمن جانبه ..
فقال الملك : و عندما يخطر لك ما تريدين فأسلى الملك و لا نرد لكى طلبا ..
فقبلت يد الملك و قال مبتسما لوائل : و الله ما كنت لتنجب ولدا و لديك هذه الظبية ..
و إلتفت إلى ظبية و قال : إجلسي قرب أميرتنا فأنتي أخت لها و تمكثين في قصرنا ما شاء الملك ..
توجهت ظبية إلى زبيبة و جلست بقربها .. و قد كان قيس و زبيد ينظران إلى الملك و لكن الملك فهم معني نظرتها و لم يبالى .. و أما المنذر فقد كان صدره ضيقا و قلبه

يتخبط من شدة الفرح .. و من خوفه أن رضآ الملك لن يبعث له الأمل .. و لكنه تجلد ثانية و عاد لمكانه هادئا و قال الملك : ألا نسابق الخيل يا مولاى ..

فقال الملك ناظرا إلى المنذر : نفعل فمن تريد أن تسابق ..

فلمعت أعين المنذر ببريق مجهول و قال : نسابق خيل أخونا اليفع يا مولاى ..

فقال اليفع بخبث : أسمح لنا يا مولاى أن نتسابق فإن سبق فرسي نجعل كوكب تزف إلى المنذر قبل عودتنا للقصر الأبيض ..

فإبيض وجه المنذر و لكنه قال : أفعل يا مولاى .. فإذن بالسباق يا مولاى ..

فنظر الملك للمنذر و قال : و أى فرس المنذر تدخل للسباق ..

فقام المنذر و قال : النعامة فليس أسرع منها .. و هي لا تدرك ..

فوقف اليفع مبتسما و قال : و أما أنا فأسابق بالخطاف ..

فرأى الملك في تلك اللحظة شرارة العداء الخفي بين ولديه .. و هم أن يمنع السباق و لكنه تراجع عن قراره ليرى ما يكون من أمرهما ... بينما همس قيس للملك : مولاى ألا ترى ما أراه.؟

- نرى يا قيس .. ولأبد أن ينجلى مافي الصدور..

- أخاف أن يتأزم ويعلوا يا مولاى ..

فتبسم الملك و قال : و لهذا تكون أنت الحكم يا قيس ..

فسكت قيس و نهض لينفذ أمر الملك : السمع و الطاعة يا مولاى ..

و كان فرسآ النعامة و الخطاف قد دخلآ في الحلبة و تجهزآ ، بالسراج و اللجام و صعد المنذر على النعامة و اليفع على الخطاف .. و أمسك عمر قائد الرماه بالعلم الذى يعلن بداية السباق و سمع صوت أقدام الخيلين يتجهزان ليتسابقآ .. و أعصي قيس الإشارة ، فرفع عمر العلم فإنطلق ..النعامة و الخطاف متساويين و متجاورين .. و المنذر يستقبل الريح بصدره و النعامة تحته تكاد رجليها لا تلامس الأرض .. فتقدم المنذر خطوتين على الخطاف .. فأخذ اليفع يضرب الخطاف بالسوط حانقا حتي عاد الخطاف ليسابق النعامة.. و لكن المنذر قد غلابه بخطوة واحدة ..

فتبسم قيس و الملك بينما لم يدر باقي رجال البلاط أيضحكون أم يسكتون ..فعاد كل

منها لخط البداية و إنتظرا قيس ليعطي الأشارة ، و أحس المنذر بالنار تخرج من صدر اليفع تكاد تحرق كل من حولها .. فلم يقل شيئا و هو لا يدرى لما اليفع لا يحب أن يكلمه أو يصاحبه .. أما قيس فكان مدركا لما يجول في عقل اليفع فخاف عاقبة هذا السباق أن تزيد الشقاق بين الأخوة ..

إنطلق الخطاف يعدوا فسبق النعامة بعدة خطوات.. و فاز في الجولة الثانية و عاد لخط البداية مبتسما بفخر .. بينما جمد وجه الملك و لم تستطع ظبية أن ترى ما سيحدث و خافت أن تزف كوكب للمنذر أمام عينيها .. فغطت يديها خوفا و لكن زبيبة قامت فأمسكت بيديها لتجعلها تنظر لباقي السباق و قالت همسا : أنظرى يا ظبية .. فهل ترين وجه المنذر هادئا أم مرتبكا و حائرا ..؟

فأمسكت ظبية بيدي زبيبة خائفة و تمالكت إرادتها .. و رأت المنذر هادئا بل جامد الوحه لا تتبين فيه شيئا من الخوف أو الفرح أو الثقة .. و رأت عمر يرفع العلم ... فينطلق الخطاف و النعامة ثانية .. و لكن صوتا فزع له الملك علآ حتي غطي على صوت أقدام الخيل .. و إهتزت الخيمة ..

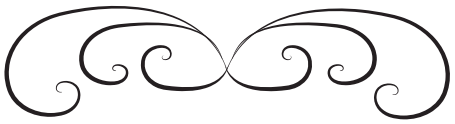

- أليس هذا العجب العجاب يا صاحبي .. أين الأهل و الأصحاب .. و لمآ أرى منازل قومي فارغة و هادئة ..؟

- ويحك ألحقنا سابور و أغار على الملك الظبعي.

- و هل له ذلك .. بل هل يستطيع ذلك .. لالا يستطيع فقد سرنآ الليل و النهار و لا مجال للشك .. إن أمرا جللا ألم بالقوم يا رفيقي .. فدعنا نسلك طريق الغابة فهو أقصر و أيسر الطرق لعلنا نهتدي لما حصل هنا ..

و مشيآ يريدان الغابة و قد دخلا للبلقاء و حوران أرض الملك الشامي .. عرين الظبعي

و لكن هذان الغريبان المنكوبان لم يجدآ أحدا يطفي شوقهما المضطرم في الصدر و لا من أحد يبكي فرحا ..برأياهما .. فأكملآ المشي على النوق حتي ألفآ منظرا عجيبا ...
سمعا صوتا يستنجد : أنجدوني يا أهل الكرامة ..
سال احدهما - ما حدث لكي يا أخت العرب ..؟
أجابت المرأة و قد كانت تغطي وجهها بخمار أسود و تلهث .. و هي على ظهر فرس تبدوا متعبة و لاهثة : أريد جواركما .. فبعض الرجال من الصعاليك أغاروا على قافلتي و قد نجوت منهم بشق الأنفس ..
فتفرس فيها أحد الغريبان و شك في أمر ما و قال : و هل أنت من العرب .. فلغتك ركيكة و ليس فيها بيان العرب وإتزان فصاحتهم..
فتلبكن المرأة و قالت : أنا ضيفة و ليست من أهل هذه البلاد .. فهل تجيرني .. أم أكمل طريقي ..
فقال الغريب الثاني : أجرها يا صاحبي .. لعل لك فيها ثواب ..
فقال الأول : على باللجام و أقودك إلى مكان تأمنين فيه الأعداء و ننظر في أمرك يا مرأة ..
فسكتت ببنما قاد الأول فرسها بهدوء أمامه .. و لكنه رأى أن ملابسها متسخة فهل كانت عند النهر القريب من القصر .. و تساءل عما حصل معها فلم تنطلي عليه كذبتها .. و قرر في نفسه أن يكشف الأمر و يتبين الحقيقة .. فشد اللجام بقوة له ، فترنحت المرأة و كادت تسقط و هذا دليلا أن المرأة ليست معتادة على ركوب الخيل .. و رأى على يدها شيئا ما .. فتفرس فيها بأعين ملتمعة تكاد ترى الشرر يتطاير منها فيحرق الأخضر و اليابس حوله .. و لكنه تمالك نفسه لمآ رأى خوفها من نظراته و قال : إسترى عن ذراعك فقد كشفت ..
فرأت أن ذراعها مكشوفة فغطتها بيد مرتجفة ..

إرتعشت يد حمزة الثعلبي غيظا و حنقا .. و قال للملك بين أسنانه : أتختفي إبنتي و لا نجد لها ظلا يمشي على البسيطة .. و أظل هنا أنتظر قدومها يا مولاى ..

فنظر الملك إليه بغضب و قال : نعم تفعل ذلك .. فقد أصرد الملك أمره يا قائد الجيش ..

- و لكن يا مولاى .. أنا أقرب لها و على أن أبحث عنها و أقطع عنق من تعرض لها ..

فبان الغضب على وجه الملك و قال : لا تنزل نفسك عن مقامها يا حمزة .. فنحن أحق بأن ننظر في أمرها و هي ضيفة علينا .. فأقعد مكانك ..

تميز حمزة من الغيظ و لم يدرى بما يجيب .. فضغط على شفتيه مصبرا نفسه .. فجاء في هذه اللحظة زبيد راكضا و قال للملك : مولاى .. لقد وجدنا العربة التي كانت تقل سيدتي إبنة حمزة الثعلبي ..

فتحرك عرق في عنق حمزة و حبس أنفاسه ليسمع أخبار إبنته كوكب بينما قال الملك : و هل كوكب بخير يا زبيد ..؟ و أين هي الأن ..؟

فسكت زبيد ثم قال خافضا صوته : إن في الأمر ما لا يسر السمع ..

- تكلم و لا تطل المقدمات ..

بلع زبيد ريقه و قال : مولاى .. وجدنا كل الحرس مصابين و قد تم تسميمهم ..

فإحمر وجه الملك و تذكر شهرزاد و أحس أن اليد التي إمتدت لكوكب .. هي ذات اليد التي قتلت شهرزاد و قال : و يحك يا إبن أنبل و كوكب ..؟

فنظر زبيد إلى حمزة و قال : إن مولاى المنذر قد وجدهآ يا مولاى..

تنهد الملك بإرتياح و إسترخت أعصاب حمزة .. و لكن زبيد هم بالكلام و لكنه أمسك لسانه .. لما سمع في الخارج أصوات الصراخ و العويل و رأى الحراس يدخل بعضهم و قالوا : مولاى إن الأمير المنذر قد حضر و معه كوكب ..

فظهر البشر على وجه حمزة و قال : إئذن لى يا مولاى ..

فقال الملك مبتسما : فليدخل المنذر و كوكب لنرى قصة ماحدث ..

و لكن الحارس سكت فقال زبيد : مولاى لقد وجد الأمير المنذر سيدتي كوكب في النهر وراء القصر يا مولاى ..

جحضت عيناّ حمزة و لم يستطع للكلام طريقا .. و لكن الملك تلون و قال : يا زبيد .. أفصح ..ماذا حل بإبنة حمزة ..؟

فقال زبيد : مولاى .. أبلغك تعازى الحارة .. بنت حمزة الثعلبي قد ماتت و مولاى المنذر قد أحضر جثمانها للغرفة المجاورة .. و بعض الغلمان لما رأوها أعلموا بني ثعلبة فجاءوا جميعا يصيحون قرب الباب ..

فسكت الملك و قد جرحت كرامته .. أتقتل كوكب و هي في حمائ .. فقال لزبيد : و الجوارى ..؟

- لقد ماتت الجوارى و هن ثلاثة .. أما الحراس فجرحوا و سقطوا من تأثير السم و لكن لم يمت منهم أحد ..

فأصبح لون الملك أحمر فأخضر فأسود من الغضب و زعق زعقة سمعها المنذر من الغرفة الأخرى .. و إرتخف جسده لها و ألقي نظرة على كوكب التي كانت مبللة تماما و شاحبة بل باردة جدا .. و قد كانت نظراتها يكتنفها الرعب و الخوف ... و ترقرق الدمع في عيني المنذر حزنا على مصير هذا الشباب الذى زال و سوف يورى للتراب ..

- أترى الملك يسكت عن ذلك .. لا و الله و أنا عرين تقتل ضيفتي إذا لأجعلنها أنهارا حمراء .. فإذهب يا زبيد و أدعو اليفع إلينا ..

فلما حضر اليفع قال له الملك : تذهب فتحقق في أمر العربة و الحراس .. بل جد لي القاتل...

و خرج اليفع مع بعض الحراس فورا ..

و إلتفت إلى حمزة قائلا : يا حمزة لقد لحقنا العار . و لا يغمض لنا جفن حتي نسفك دما بدم..

فركع حمزة و أخذ السيف الخاص بقائد الجيش و قال : لقد حاربنا لحماية الملك و قد مات منا خلق كثير و قد قدم إبني لبيد .. و هو سيد عشيرة بني ثعلبة دمه و روحه في سبيل الأمير المنذر .. و في سبيل العرش و زاد إخلاصنا لمولاى الملك و عمق .. و لكن أن تقتل إبنتي فقد بلغ بي الأمر مبلغا لا أستطيع معه أن أكمل يا مولاى .. فهذا سيفي لم أجرده إلا في سبيل العرش الظبعي و دمي حلال عليك .. و قد أعدت سيفي و لسوف

أخرج في طريق الثأر و أبحث عن قاتل كوكب ..
فأحمرت عيناآ الملك غضبا و وقف على قدميه و قال : تسلمني السيف يا حمزة .. عد لرشدك .. و إلا فلا عودة لها هنا بعدها .. و تخرج مع بني ثعلبة من مملكتي ..
فوقف حمزة و مشي وراءه رجال عشيرته .. و سط غضب و ذهول الملك و قال : لقد خدمتك يا مولاى و لم يبقي لي أولاد أبذل دمائهم في سبيلكم .. و هاؤلاء رجال عشيرتي فلست بواقف على رأى أحدهم فسأخرج وحدى مع أهل ببتي و من يرد الخروج معي فليأتي و من يرد البقاء قد أحسن الإختيار ..
فخرج كل رجال بني ثعلبة وراء حمزة و قد قرروا إتباع سيدهم للنهاية .. و هدأت القاعة و عم السكون و أخذ الملك يمشي ذهابا و إيابا و قال لمن حوله : خرجت بنو ثعلبة عن حكمنا و ليس لنا يد لنعيدهم بالقوة .. ولكنهم غضبوا للكرامتهم و لكننا لن نرضى بذلك .. سأقتل قاتل كوكب و أعيد بنى ثعلبة بإرادتهم تحت جناحي ..

{٢٠}

أمسك بالسوط بين يديه يثنيه ثم يطلقه و قد غرق في بحر من الأفكار .. فأحس أن يضيق عليه حتي لا يكاد يجد نفسا يتنفسه .. رأئ وجه كوكب الباكي و قد غرس خنجر في صدرها و رأى يديه ملطختان بالدم .. ففزع المنذر و تسأل لما يدي يغرقهما الدم ثم تراءت له الملكة تمشي فوق جسد كوكب و تشير إلى المنذر : أنه القاتل يا مولاى .. ففخرجت شعلة نارية من عينى الملك و أرسل إليه بسهم دخل قلب المنذر ..
- مولاى .. مولاى ..
رأى يدا تمتد إليه فأمسكها بفزع .. وقف زبيد فوق راس المنذر حذر .. قال له : زبيد .. مالك .. أتحرسني و الحراس عند بابى ...

- لا يا مولاى .. لكني سمعتك تتقلب فجئت أرى ما حدث ..
ترك المنذر يده و تنهد قائلا : رأيت العجب في المنام ..
- ضاقت عيني زبيد و قال : و ما رأيت يا مولاى..
فقال المنذر و قد إستوى جالسا : دع عنك أمور المنام فليس من هروب منها و لكني أسئلك عن الملك فكيف قضي هذا الليل يا زبيد ..
- قضاه في التفكير يا مولاى .. فلم يذق النوم جفناه ..
- و لن يهنأ بال الملك حتي يحل هذه المشكلة .. كيف يتجرأ أحد على التعرض لضيفة الملك ..
- ربما يا مولاى لن يتجرأ أحد إلا إذا سمح له الملك ..
فوقف المنذر غاضبا و قال : أتتهم مولاى الملك ؟
فلم يتحرك زبيد بل قال بهدوء : إن لمولاى الملك عدله و حكمه النافذ و لكن مثل هذا الحادث لابد أن يكون مدبرا من قبل المقربين لمولاى ..
كان المنذر يتفق مع زبيد في ذلك و لكنه لم يصرح بأفكاره و قال خافضا صوته : إحذر العيون و الآذان في القصر يا زبيد .. فقد تتخطفك الأيدى و لا نعلم ما جرى لك ..
فتبسم زبيد و قال :لا أخاف يا مولاى ما دمت قربكم و لكن الخوف كله على مولاى المنذر ..
فبغت المنذر من ذلك و قال : أترى السيوف تلمع أنصالها يا زبيد و لا ندرى من أين تدركنا ..
- بل أرى أن هذه الأنصال هي التي ستهدينا لنعرف الجاني ..
ففكر المنذر قليلا ثم أمر زبيد : فليحضر الحراس الذين صحبوا كوكب لنرى ما يقول كل منهم ..
- هم عند الباب ينتظرون أن تأذن لهم ..
فضحك المنذر و قال : و الله ليس بعدك من قائد للحرس .. أتقرأ أفكارنا قبل أن نصرح بها .. أنك جنى إذا ..
فقال زبيد و مازال يبتسم : لا .. و لكني أعلم ما تقول أعين مولاى .. و أراها الأن لا

تريد للنوم طريقا حتي تكشف الحقيقة ..
- نعم يا زبيد .. لن يكون المنذر أميرا حقا .. و أضياف الملك يقتلون لا نعلم من يتربص بهم ..
فسكت زبيد و قد رأى الجد و التصميم على جبين المنذر و خرج ليدخل الحراس ..
فما دخلوا على المنذر .. لم ينظر إليهم بل أخذ السوط و لعب به بين يديه و رفع نظره إليهم فوجدهم أربعة .. و قد علت وجوههم إمارات الخوف و الرهبة .. فقال المنذر : ماذا صنعتم في مهمتكم التي وكلت لكم ؟
فجمد الحراس و لم يكد أحدهم بجيب بكلمة حتي صفق المنذر بسوطه على الأرض .. فإرتعش له أحدهم و تمتم : مولاى ..
قاطعه المنذر بغضب : ألا يستطيع أربعة حراس أن ينقذوا بنت حمزة الثعلبى .. و الله لإن لم اعرف مجمل ما حدث لأقطعن رقابكم واحدا واحدا ..
ركعوا جميعا و قالوا : أرجو منك أن تعفو عنا يا مولاى ..
و قال أحدهم : لقد غدرنا يا مولاى .. سمم طعامنا و غشيت عقولنا نفخة التعب .. و لم نرى شيئا إلا أن مولاتي كوكب كانت قد ..
أكمل أخر بتضرع : مولاى .. لم يكن هناك من أحد تعرض لنا في طريق و لم يقوموا بقتلنا .. تركنا أحياء لنعود مع العار و الخذلان فإقطع عنقي يا مولاى ...
- كم من الجوارى خرجن مع كوكب يا زبيد ؟
- ثلاثة يا مولاى .. و قد قتلن كلهن ..
تعجب المنذر و قال للحراس : لما تقتل الجوارى و يظل الحراس دون قتل .. أليس هذا دليلا على خيانتكم ..
و تغير صوته ليصبح كأزير الأسد : كيف ماتت ..؟ من قتلها ..؟ لحساب من تعلون .. ؟ بل لما لم تلوذوا بالفرار ..
صمتوا .. فقال زبيد : لو كانوا مذنبين لما ظلوا و أرسلوا في طلب النجدة .. لابد أن في قتل الجوارى سببا يا مولاى ...
فقال المنذر من هن هذي الجوارى يا زبيد ؟

فقال زبيد : حققت في الأمر يا مولاى .. و هن من جوارى الملك وضعن تحت تصرف سيدتي كوكب .. لما حضرت لتقيم في قصر الملك ..

- إذا لربما كان من قتل كوكب معروفا لهن .. فعمد لإخماد أرواحهن..

- مولاى .. إن حمزة الثعلبي يظن أن السبب وراء مقتل كوكب .. لربما كان ..

فحدجه المنذر بنظرة .. فسكت و أشار على الحراس ليخرجوا و قال : إنصرفوا فقد أبليتم البلاء الحسن .. و لن تطير رقابكم بل عيشوا بفخر مع عاركم الجديد .. زبيد أحلهم من الحرس فلا نريد مثلهم حرسا للملك ..

فخرجوا غير مصدقين بنجاتهم .. و تابع زبيد حديثه : و هذا دليل أن من قتل سيدتي كوكب هو أحد شخصين ..

- و من هما ..

- إما عدوا لنا يتقصد إشعال النار بين الملك و بنى ثعلبة .. و لابد أنه يعلم بالعداء القديم بينهما .. بل ربما بلغ به الأمر بمعرفته مؤكدة حتي علم أن مولاى المنذر لا يرغب في سيدتي كوكب زوجته له .. فيقتلها و بهذا يستطيع مولاى المنذر أن يخطب ظبية بنت وائل ..

- أتقول أن القاتل يعلم ما يجول في قلب المنذر .

- لا يا مولاى .. و لكن القصر و الجوارى و العبيد يعلمون بذلك ..

فسكت المنذر و قال : إذا بهذا لن تتزوج ظبية من ولى العهد .. و هكذا يبتعد بنى بارف عن ...

و جحضت عيناآ المنذر و قد فهم الأمر ..

ظل زبيد صامتا حتي وقف المنذر و قال : هناك شيئ ناقص يا زبيد .. إن القاتل لن يقتل نفسه ..و عدد الحراس أربعة و الجوارى ثلاثة في عربة واحدة مع الخيول تمضي في الطريق .. للقصر الشتوي الملئ بالحراس و أنصار الملك .. لا يا زبيد ليس عدوا للملك من قتلها .. بل في الأمر خيانة و غدر ..

فقال زبيد : الشخص الثاني الذى قد يفعل ذلك هو ما ذكرت يا مولاى ..

تمتم المنذر بغيض : لقد غص قصر الملك بالخونة...

فقال زبيد بصوت خفيض : لقد عرفت كيف تم الأمر ..
نظر إليه المنذر مصعوقا و قال : أتعرف و لا تعلمنا يا أبا الدهاء ..
فقال زبيد بجدية : مولاى .. إني أنتظر أن يحين الوقت المناسب ليعرف الملك ..
- بل تحيطني علما الأن .. فلست راغبا في الغموض و الإلهام ..
- إذا ترافقني يا مولاى لترى بعينك كيف ..
و صعد المنذر و قلبه يخفق بشدة إلى النعامة و إنطلق مع زبيد وحدهما في هذا الليل .. و لم يكن ينير طريقهما إلا ضوء القمر .. و النجوم تسقط على خيالهما اللذين كانآ يمران بين الأشجار كالبرق يطير كل شيئ حوله ..

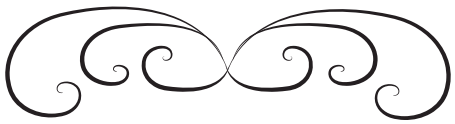

{٢١}

دخل عبد على عروة و وقف بالباب مطيعا و منتظرا أمرا سيده .. فقال عروة : ندبتك لمهمة قد يطير لها رأسك .. فهل تذهب ..؟
فقال العبد : أذهب للجحيم إن كان فيها رضاك يا مولاى ..
فتبسم عروة و فتح كيسا مليئا بالذهب .. و أسقطه أمام العبد فرأى العبد هذه القطع الصفراء تتراشق فيما بينها بخفة و تصدر صوتا كان أحب إليه من نفسه .. و إلتمع الشره و الطمع في عينيه التي تعلقت بالأرض تعد الذهب..
فقال عروة : إنها مهمة ورائها معنى رضى سيدك عنك ..
- أفعل و لا يثنيني شيئ عنها يا مولاى ..
- تذهب إلى منازل بنى ثعلبة و تشيع حب المنذر لظبية وهيامه بها حد الخبل فعمد الي قتل كوكب ..
فإرتجف العبد و تمتم : و لكن إن لم يصدقوني يا مولاى .. فبنى ثغلبة شديدون حول

كوكب جدا..
فرفع عروة قطع الذهب عن الأرض مدعيا أنه يعيدها للكيس .. فرفع العبد صوته : سمعا و طاعة يا مولاى ..
فأمسك عروة عن ضحكة كادت تفلت منه و قال : تذهب الساعة و تشعلها نارا بين بنى ثعلبة و بنى بارف ..
و أخذ عروة يملى على مسامع العبد ما يقوله لتتناقله الأفواه و الألسن ليستقر في القلوب ..
فخرج من توه فقابله بارق عبد ظبية .. و كان يقوم بسراج الجيداء لتركبها ظبية ، فوقف ليحدثه و فد برقت عيناه قائلا : ألا أدلك على عمل سخي و غير مجهد .. يا بارق ..
عبس بارق و قال : لست طالب عمل .. فإنما أنا عبد مأمور كما أنت حالك ..
- لا تعبس و إسمع ما أقول ..
- هات ما لديك .. فليعني الله ..
ضحك العبد و أخرج من كمه بعض القطع الصفراء و قال : ثرثر كما تريد عن ظبية و المنذر .. فترى هذه النعمة .. نعم .. أترى أن الأمير المنذر قد يدبر أمرا لينحي كوكب بنت حمزة فيخلوا له الجو..و يستطيع أن يفاتح مولاى الملك فيخطب له ظبية ..
فقال بارق بلؤم : و من أوحى إليك بذلك ..
- أوحاه لى سيدى عروة .. و أراه لمن الصادقين..
- أليس سيدك نديما لولى العهد ..؟
- نعم هو ذلك ..
فقال بارق : غريب أمر الأمراء فقد جاءت ظبية لتزف للأمير اليفع و اليوم تقول ما قلت ..
- لربما كلامك صحيح و لكن فيه بعض اللغظ ..
- أوضح لى يا صاحبى .. فليس من شيئ ورائنا..
ضحك العبد قائلا : إن الأمر و الفصل بيد مولاى الملك و ما كان وائل بن بارف ليسكت

عن زواج سلمي بولى العهد.. فوائل و مولاى المنذر مشتركان في ذلك ..
و همس : في قتل كوكب بنت حمزة الثعلبي ..
فأخذ العبد يتابع الثرثرة و النميمة ، بأسرع من البرق وصلت لعبيد و جوارى بني ثعلبة فجلسوا يتناقشون حول ذلك .. و قد أضرمت كلمات الناس النار في قلوب بنى ثعلبة و كرهوا بنى بارف و الأمير المنذر .. و أخذوا يتهامسون و ذهبوا إلى كبيرهم حمزة و قالوا : ألا تسكت الألسن فما نحن بصابرين على ما يقال عن كوكب و قد كانت عزيزة علينا .. بل فخرنا فأمشت مضغة في الأفواه يلوكونها ثم يبصقونها على الأرض تطأها الأقدام ..
فقال حمزة و قد كسره موت إبنته كوكب بعد موت لبيد : أما هذا فلست بمضغي لحديث العبيد و الأسفلين من القوم و أما كوكب فلن أرتاح حتي أجد قاتلها ..
- يا حمزة .. أتسكت عن الملك و قد كانت في حماه و قتلت شر قتله ..
صرخ حمزة في وجوههم : و الله لا أسكت و لكن الملك قد حمى ديارنا من الأعداء و قربنا له .. و تمرغنا في نعمته و حتي أخلص ثأرى لن أشارك الملك في حروبه .. فإن ندبنا للحرب نظل على الجياد حتي نسترجع كرامنتا ..
فقال أحدهم : مولاى المنذر لم يحضر للبلاط منذ اسبوع..أيكون حقا كما يقال يا حمزة ..
ففال حمزة : و هل نطيق حرب الملك و إن كان المنذر هو القاتل .. فهل نطيق ذلك ..
فسكت بعضهم و قد عرفوا أن أمرهم عظيم جدا و لكن هذا الرجل قال واقفا : و الله لا أسكت على ضيم و لا أنام عن غريمي .. كوكب إبنت عمى و قد عاشت في حماى حتي خرجت لقصر الملك فعادت منه ميتة ...
فهاجت الحمية في قلوبهم و قالوا : نعم .. صدقت و الله ..
فخرج إبن عمها و يدعى رزاح بن ورد الثعلبي .. و كان رزاح هذا يريد كوكب زوجة له لولا خطبتها للمنذر ، فلما سمع عن حادث قتلها إضطرمت النار في صدره و أقسم على نفسه ليجرى دم المنذر كما جرى دم كوكب .. و ليكون أميرا فلا أبالى و خرج مع بعض أصحابه .. و تهامسوا كيف يأخذون بثأر كوكب بقتل المنذر ..و قال رزاح :
ألقاه و أقتله .. فمن معي ..؟

فقال أصاحبه : معك إلى الموت يا إبن ورد الثعلبي ..
و تعاهدوا معا أن يتم بينهم و أخذوا يتشاورون حول مكان المنذر و أين يكون قابعا .. و أرسل رزاح أحد عبيده الموثوقين ليتبع أثر المنذر و يسأل عن مكانه .. فلما خرج العبد لينجز مهمته إلتفت رزاح لأصحابة قائلا : ألا ترون أن زبيد لا يترك المنذر وحده ..
فقال الأحدهم : نعم .. إنه يرافقه كظله ...
و قال أخر : و الله لو يخفل عنه زبيد دقيقة واحدة لغرست هذا السيف في قلبه ..
و وضع يده على سيفه و خبأه تحت ردائه فقال رزاح محذرا : ويحك لا يراك أحد متقلدا السيف .. ألا تعلم أن ذلك مخالف للقانون .. أخفه حتي يحين موعده و الله إنه لقريب جدا ...
و أقام الليل كله بخطط ، فلم يقم في ذهنه إلا شيئ واحد لا غير و قد وافقه عليه أصحابه .. أما حمزة هذا الرجل ألذى لم يصدق بموت كوكب فرحه و سلواه في كبيره .. و هو في الثمانين من العمر يحتضن وجهه بين يديه و يبكي هذه اللؤلؤة التي أواها للتراب و لم يعلم من غريمها بعد .. فأحي الليل يبكى كوكب و لبيد ..

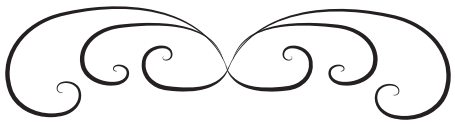

- أما والله إن النائبات تنزل على مولاى الملك الواحد تتلوا أختها .. حتي لأرى مولاى يحى ليله مفكرا و نهاره تائها ..
فقالت ظبية و قد كان قلبها الرقيق وروحها اللطيفه يغز كوكب ويحبها : مولاتي.. لما لا تذهبين لتكلميه و تسلى عنه قليلا .. فلا أظن مولاى الملك يردك....
نظرت زبيبة إلى صديقتها : إنه لا يردني يا ظبية و لكنى لا أدرى ما أقول حلما أرى

عيناه الواهنتان .. بل يتكتم لساني و لا أعلم شيئ مما أريد أن أفعل أو أقول .. ظبية إن مولاى الملك ليس من تستطيع أن تكشفي خفايا روحه .. فكيف أداوى جراحه ...
سكتت ظبية و لم تدرى كيف تعيد لوجه زبيبة إبتسامتها الساحرة فقالت لها : مولاتي ..
و لم تكد تقول شيئ غير ذلك حتي دخلت الوصيفة صفية و قالت : مولاتي الملكة حضرت لترى الأميرة ..
- أسمحى لها بالدخول يا صفية..
وقفت ظبية حالما مشت الملكة بهدوء و تعالى و إنحنت أمام الأميرة زبيبة .. التي ظلت جالسة و لم تحرك ساكنا .. قالت : مولاتي زبيبة ..
فأشارت عليها زبيبة لتجلس قربها .. و عادت ظبية للجلوس عند قدمي زبيبة التي كان الدمع بجول في عينيها ..
- ألا تخرجين معي اليوم يا مولاتي .. فليس جيدا أن تظلي هنا و يظيع عليك هذا الجو الرائع في الشرفة القصر ..
و إبتسمت زبيبة ..
- لست راغبة في ذلك يا سمية .. أخرجي وحدك..
- و الله لا أفعل حتي أرك معي يا مولاتي .. فلو كانت كوكب بيننا اليوم لما فعلت إلا كما فعلت أنا الأن ..
نزلت دمعة من عين الأميرة فمسحتها لها الملكة مبتسمة و أمسكت بيديها و جرتها معها .. فمشت زبيبة معها بهدوء للشرفة .. و ظلت ظبية وحدها ترى الملكة بكلامها البسيط و إبتسامة واحدة منها قد أراحت الأميرة وحثتها لتخرج و تعيود إلى وجهها الإبتسامة .. و فكرت ظبية أنها أمام ملكة تحفها الجلاله حقا و زاد إحترمها لها ..
- مولاتي ظبية .. لدى رسالة لكى ..
أشارت ظبية على صوفي لتقترب .. و لكن صوفي لم يكن في يديها رسالة .. بل همست في أذن ظبية فنهضت ظبية فورا و قالت :
: أين هو الأن ..؟

- إنه عند الجيداء يا مولاى ..

دب الخوف في قلب ظبية : تعالى معي يا صوفي و الله ما جاء في هذا الوقت الامر جلل ..

و مشت للشرفة لتستأذن في الخروج فأذنت لها الأميرة و قادت رجليها وراء صوفي التي فتحت لها الطريق لمربط الخيل ..

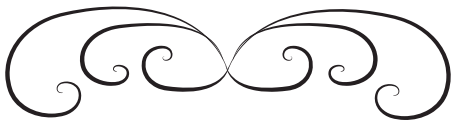

{٢٢}

- أيجرأ بنة ثعلبة ألا يلبوا نداء الملك إن ندبهم لرفع السيف و القتال يا قيس ..؟

- أرى يا مولاى أنهم لا يستطعون إلا طاعة الملك و لكن في الأمر شك .. و بنو ثعلبة لا ينسون ثأرهم ..

فقال الملك و قد إحمرت عيناه : و الله لإن ندبتهم للقتال و لم يستجيبوا لأسيرن عليهم الخيل على ظهورها الفرسان تفعل فيهم ما نشاء حتي يعودا للطاعة ..

فقال أحد الندماء و هو من بنى العباس عشيرة الملكة : لى رأى في ذلك يا مولاى ..

نظر الملك إليه و قال : أسمعنا رأيك لعل فيما لديك تهدى الملك للصواب .. و قد قيل أن الملك لا يستقيم دون أهل النصيحة و الإستشارة ..

- أرى يا مولاى أن تعجل بشأن ثأرهم و تعرف من سفك دم بنت سيد بنو ثعلبة .. فإن رأو أن الملك يندبهم للقتال و لا يسأل عن ثأرهم عصوا و رفعوا الأعناق فوق عنق الملك ..

- ثأرهم هو ثأرنا و لإن كان من قتل كوكب أحد المقربين فوالله لأقطعن عنقه و لا أبالى .. فالضيف له حرمه و لا نسكت عن حرمنتا ..

ثم هدأ و قال : يا عمر أليس لك إبن يدعى ليث ..فقال عمر و هو قائد الرماه و إبن عم الملك : نعم يا مولاى و هو تحت طاعة الملك ..

- إذا أرسل في طلبه .. فلنا معه شأن ..

فخرج عمر و أرسل أحد الغلمان ليأتي بليث إبنه الوحيد .. فلما حضر قال الملك : أدخله يا عمر ..فدخل شاب في عمر ولى العهد ذو خمسة و العشرين ربيعا .. مليح الوجه عريض الأكتاف و لديه نظرة في الناس لا تخيب أبدا ترى في عينه شعاع الثقة يخترق الصدور المغلقة بخفة و هدوء ..فلا تعلم من أمرك إلا أنك أمام رجل يرى القلوب و تقلباتها كالمرأة تماما ..

فلما وقف بين يدى الملك قال : جئت إليك في شأن عظيم يا إبن خالد الظبعي ..

فتبسم الملك من جرأة هذا الفتي و قال : فكيف تأتي في ذلك و نحن من نريدك في بعض شئوننا ...

- عندما يقل الأصحاب يكثر الأحزاب يا مولاى ..

فعادت نظرة الجد لعين الملك و قال : و الله إنك كما يقال عنك يا ليث إبن عمر ...لسان صريح و عين ترمي الناس كالسهم فتدخل القلب ..

- إجعلني حاجبك يا مولاى .. فالقصر فيه أرجل كثيرة تسعى بغير ما يريد الملك ..

فقال الملك بصرامة : جعلناك حاجبنا يا ليث فخذ السيف من يدنا و كن عند الثقة و تحلى بالأمانة.. فإنها رداء يجزى صاحبه و لابسه و حامله أيضا ..

فركع ليث و قدم له عمر والده سيفا فقبله و وضعه بين يدى الملك ..

فقال ليث : لن أجرد هذا السيف إلا في طاعة الملك ..

ثم وقف و مشي إلى الباب و قال : أنا حاجب الملك منذ اليوم ..

فقال الملك باسما : إذا يا حاجبنا أدعوا لنا أميرنا المنذر لأمر عاجل ..

فمشي ليث بسرعة بحثا عن المنذر و لما لم يجده سأل عن زبيد فلم يسمع عنهما شيئ .. و مشي راجعا و دخل الرواق فرأى عروة واقفا يبتسم و يدفع بعض المال لأحد العبيد .. و عرف ليث من عينى عروة الشر و تمتم لنفسه : و الله و إن كان عروة إبن عمى و قد رباه والدى فظهر منه الشر فلست إلا بجلاده ..

و كما ترون فلم يكن ليث يحب عروة الذى تربى معه كالأخوة .. و قد عرف فيه منذ الصغر الخبث و النميمة تجرى في دمه و المكر يشربه صباح مساء ... خطى ليث عائدا وراء العبد و أمسك بتلابيبه و دون كلمة أخذ يحدق في عينيه .. فخاف العبد و قال : سيدى .. العفو فهل أخطأت في حقك ..

ظل ليث ساكتا فقال العبد خائفا : لست إلا عبدا و قد اكرمني مولاى ..

- من مولاك ..؟

- إنه عروة بن أسود بن جندل يا سيدى ..

فزادت نظرات ليث صرامة و قال : ألا تظنني أوصل للملك أن عبدا من عبيده لا يعترف به سيدا ... و يطلب الإحسان من غير مولاه ..

فإرتعشت فرائض العبد و رأى الموت مطلا في عين هذا الرجل و قال : سيدى .. مولاى الملك هو مولاى و لكنى أخاف أن ..

قاطعه ليث بهدوء : و لكنك تعمل لحساب المال .. مثلك لا يستحق إلا الموت جزاء لإحسان الملك لك ارتخت أطراف العبد خوفا و قال باكيا مستشفعا : إسئلني ما تريد يا مولاى .. فليس لى إلا حياتي فإن ضاعت فلست بمستفيد شيئا ..

فقال ليث بصرامة : أين كنت ساعيا ..؟

- إ ... إلى مرابط الخيل ..

فأخذ ليث يرفع العبد بيد واحدة و أراده كالصفيح ، و ضربه على الحائط فصرخ العبد متألما و قال : مولاى الرحمة .. فأنا عبد مأمور ..

- أين السعى .. أ إلى مرابط الخيل و بين أضليك هذا الذهب ..

و مد يده الأخرى فإستخرج بها الذهب من جيب العبد ...الذي إزداد بكائه و قال : الموت ينتظرني يا مولاى .. و لساني ليس ملكا لى ..

فإبتسم ليث و قال : الموت جزاء الكذب و هو جزاء الخيانة أيضا .. فأفصح و إلا قطعت أطرافك واحد واحدى .. حتي تفك عقدة لسانك ..

فبللت دموع العبد يد ليث .. فقال ليث : تمشي أمامى الأن لنرى ما يكون من أمر الملك معك ..

- لا يا مولاى .. فلست أطيق غضب الملك ..
فأمسك ليث بالسيف المعلق على كتفه و قال : كلمة أخرى و يلمع دمك المسفوح على هذا البلاط ..
سكت العبد خوفا من الموت و مشي طائعا خافضا عينيه للأرض .. و كم تمنى أن يجد مخرجا و لكن أنى له ذلك ..؟ و هو بقدميه يخطوا إلى قضاء الله الذى يسمى الملك ..

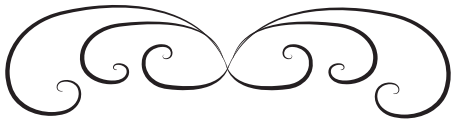

- إن القوم يتأمرون يا مولاتي ..
- أراك تكلمنا بالألغاز و الحجج يا بارق ...
- ما كنت فاعلا إلا خير يا مولاتي..
- فماذا أصبت من العلم .. ؟ أخبرني و لا تكتمني شيئا ..
- أسألك شيئا يا مولاتي أولا ...
عجبت ظبية من كلام خادها بارق (و قد مر ذكره في الفصول الأولى حيث كاد يموت بين بين يدى وائل و قد شفعت له ظبية و أصبح خادمها ..
- أراك تتدلل علينا .. أخبرني فلا نفع السؤال ..
- مولاتي .. ما كنت بفاعل أو قاصد شرا و لكن البعض يتأمرون على مولاى المنذر .. و قد أصبت علما و توثقت من أمرى ..
دب الخوف في قلب ظبية و لكنها أظهرت التجلد : لقد عدت لقص المؤامرات .. أفصح و لا تضيع وقتي ..
سكت بارق ثم قال : مولاتي إن الأمر لخطير و أظن .. بل إني موقن أن مولاى المنذر سيكون مقتولا تحت قدمي الملك .. و أرى الأن الملك يضرب بسيفه على رعيته بدل أن

يوجه هذا السيف إلى أعداءه الفرس ..
رأت ظبية الصدق في الكلام بارق و لكنها ملت الأوهام و الغموض .. و لم تطق صبرا حتي تعلم بالأمر و قالت بعجل : ليس في صدرى صبر يا بارق .. فإما أن تجلي الغموض أو إنصرف من أمامى فأنت واهم و لا شك .. فمن يستطيع أن يمد يده للأمير المنذر ..
فلمعت عينا بارق و قال : إن اليد التي ترفض شهر سيف الملك .. هي اليد التي تسفك الدم أنهارا و لا تبالى .. بنو ثعلبة يا سيدتي .. يكنون الحقد و يضمرون الشر لمولاى المنذر بعد أن ماتت كوكب بنت سيدهم و أميرتهم .. بل إن العبيد و الغلمان يتناقلون أخبار ذلك ..
إرتعشت فرائض ظبية و قد لمست بعض الحقيقة بل إنها الواقع يتجلى في أروع صوره .. و لا يبالى بالصدور المتعبة و القلوب الخفاقة تنتظر أن ترى أحبتها أمام عينيها ... و لكم شعرت ظبية أن روحها قد خطفت من جسدها : حدثني عن ذلك .. و دلني على دليلك فقد أخذ ذلك مني مأخذا .. و لست براكنة حتي أعلم ما ينوى عليه بنو ثعلبة ..
- فأول الحديث أني سمعت من عبد لعروة بن أسود بن جندل .. ينقله لى و للغلمان أن مولاى المنذر و سيدى وائل قد دبرآ أمر قتل كوكب .. ليفسحا الطريق أمام سيدتي ظبية و لتصبح زوجة للأمير المنذر ..
- ويحك يا بارق .. أيتهامسون في ذلك و ليس فيه شيئ من الصدق ..
- نعم يا مولاتي .. و قد وصل الأمر لبعض بنى ثعلبة و قد إختلفوا فيه ..
- و ماذا دلك على ذلك ..؟
- لى صديق من عبيد بنى ثعلبة و هو ثرثار كثير الكلام .. و سمعه كالبرق ينفذ فيه الكلام فيحفظه عن ظهر قلب و يسمعني إياه ..
- و ثاني الحديث ..؟
- أما ثاني الحديث فأن بنى ثعلبة لن يستجيبوا لنداء الملك إن ندبهم للحرب .. حتي يأخذوا بثأرهم و تبرد قلوبهم ..
- ويل لى و لهم .. أيكون ذلك و لا يخافون غضب الملك ..؟
- قد يطلبون أن يجيرهم أحد من القبائل ..

- و من يطيب له أن يحيرهم و يرمى بأبناء قومه ليردوا سيف الملك .. إنهم لا يستطعون ذلك .. و إن فعلوا فإن الدم سيصل الأعناق .. فهل أتممت الحديث ..

- مازال فيه ثالث يا مولاتي ...

زفرت ظبية و قد أثقلت عليها هذه الأفكار السوداء و رأت يدى الفراق و الموت تتسلل بينها و بين المنذر .. ألا يكفيها ما حدث ..

فرد هامس في عقلها "لا .. لا يكفي .. هذا ما سمعته من القدر الجائر" فإلى أين سيتمادى في جوره ...

قال: هات ثالثه .. فلا سبيل لرد القضاء ..

- أما ثالثه فمثل الأول يا مولاتي .. فالعبد لم يقل هذا الحديث من عنده .. و لكن يدا حاقدة قد أغرفته بالمال و الذهب .. فهو قد باع نفسه للشيطان في سبيل ذلك ..

- أراك تشير لعروة بن جندل .. أيخون مولاى الملك و هو إبن عمومته ...

- بل أراه يسيل لعابه كلما رأى بريق العرش ..

- لا سبيل لذلك يا بارق .. فعد عن هذا الكلام و إلا سمعك أحد ما فتطير الرؤوس ..

فقال بارق بشجاعة : و الله ما كنت بفاعل ذلك .. حتي تأمريني فأسبق الريح لمولاى المنذر فلعى ألقاه قبل مماته ..

غضبت ظبية لثقة بارق و هو يتحدث عن المنذر .. كأنما أمسى من الأموات : أتذهب إليه و تقول إن بنى ثعلبة يريدون دمك .. فيصدقك .. أترى أن مولاى الملك يصدق ذلك ..

- لا يا مولاتي .. و لكني أقبع مستخفيا حتي إن رأيت يد تمتد بسوء لمولاى قطعتها .. قبل أن تشتعل حربا سوداء بين بنى جندل و بنى ثعلبة..

فيقول العرب ظبية بنت وائل كانت سبب الشقاق بين القبيلتين و قد كانتآ في ويئام و سلام ..

- و الله لأرسلنك في أثر مولاى المنذر فتكون له عونا و لظهره درعا فتعود به .. و إلا قطعت لسانك..

تبسم بارق بثقة و قال : أذهب الأن فإن ثبت كلامى و إستوثقتي حديثي .. فهبيني

حريتى يا مولاتي ..
- أرى أني لابد أن أعيدك لحمى والدى فيأدبك يا بارق ...
فخاف بارق و قال مستطفا : السمع و الطاعة يا مولاتي ..
و مشي ليركب أحد الأفراس فإستوقفته ظبية : خذ سيفا .. و إمضي في الطريق الذى وصفت لك
..
ففعل بارق ذلك .. و كان المساء قد غاب و حل الغسق مبشرا بليل دهيم .. و إن كان القمر ينير بنوره الأفق و لكن الصدور السوداء أنى لها أن ترى النور و الهدى فإنخيوط الأمل في قلوب العشاق فوحدها كانت تهدى إلى الطريق و تهون مصائب الزمان ..
عادت ظبية للقصر مفكرة و قد تخاطفتها الأوهام .. فخيل إليها أن كل من بالقصر ينظرون إليها بخبث و إستهزاء .. بل خيل لعقلها المرهف أنها تسمع همهماتهم و طعناتهم ورائها فأعياها التفكير و خطر لها أن تكلم الملكة أو الأميرة .. و لكنها عادت عن ذلك .. فتجلدت بالصبر و جلست في غرفتها تنتظر رجوع بارق .. أن يحمل لها أخبارا تشفي جراحها و تسكن روحها الهائمة التي تناجي الحبيب .. و تدعو له أن يعود سالما و ظافرا ..

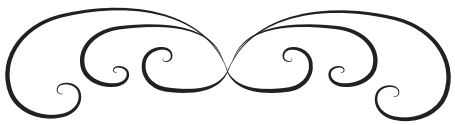

- ماذا رأيت يا أميرنا اليفع ..؟
- رأيت أن يد الموت قد خطفتها .. فلا يعلم بشر كيف ماتت..؟
- ماذا تقولون في ذلك .. نريد أن نثأر لدماء ضيفتنا و لكننا لا نعلم من غدر بها ويلوث إسمنا بالعار ..
- أرى أن نأجل الحرب يا مولاى .. فكيف نبرز لعامل الفرس و في جيش الملك تقصل و

خلل ..
ضرب الملك على كرسيه في البلاط غاضبا و قال : لا نأجل ذلك .. لقد حددنا الموعد و لن نغيره .. أننتظر أن يخرج إلينا سابور الفارسي زاحفا ليفتح ملكنا و نحن ننظر ..
فعاد اليفع ليقول : و لكن بنى ثعلبة أشداد و هم سيكونون عونا لنا ..
فقال قيس مهدئا الملك : لسنا في حاجة لتأخير الحرب فهي حاضرة لا جدال فيها .. فإن كنا نحن المبادرين كان ذلك في صفنا فوزا قبل الفوز..
هز الملك رأسه مستحسنا رأى قيس ... و قال عمر قائد الرماه : أرى يا مولاى أن تحسن لبنى ثعلبة و تظهر لهم رغبتك في الثأر لأميرتهم كوكب .. فإن هدأت نفوسهم ندبتهم للحرب و لا أظنهم بفاعلين غير ذلك ..
قال قيس : نعم الرأى يا قائد الرماه .. و ننتظر أن يعود رسول الملك لنعلم ما حل في نجد مع أمرائهم الأربعة ..
قال الملك : إن هم قبلوا بالحياد معنا و لم يشاركونا الحرب و لم يكون ضدنا مع الفرس .. فقد أحرزنا نصف النصر .. فعلى الملك أن يمضى للعراق مطمئنا ألا ينقلب عليه أهل نجد ..
- و هل اطلق مولاى الملك اليد لرسوله في إغرائهم بالمال ..
- نعم يا أميرنا فإن لم نحصل على سيوفهم و دمائهم .. إذا نعمد إلى الدهاء و نشترى صمتهم و نبذل في ذلك كل مال الحوران لو أرادوا ... فيتم لنا بقوتنا و جيوشنا أن ندك عرش الحيرة و نشرب من الفرات .. نعم ...
ثم وقف الملك يمشي أمام الرجال البلاط متوترا و قد غرق في أحلام اليقضة ... أحلام رأى فيها الحيرة تدين له و تحني الرؤوس .. و رايات الظبع تخفق في سماءها تستنشق هوائها الملوث .. ذلك الهواء الذى يعبق برائحة الموت .. و ترابها الذى طوى المئات و الألاف من الظبعيين .. فلهم تراث مع ملوك الحيرة ... و أحقاد دفينة لا تلبث تهيج النار في قلوب فتهفوا الروح للثأر و إخماد اللهيب ... و لا يكون ذلك إلا بسكب الدماء .. الدماء و لا سيئ غير الدماء ...
أرسل الملك نظرة للشرفة فرأى الشمس تختبئ خلف التلال خجلة من رؤية هذه الأعين

التي تلمع طلبا للمجد و العلاء .. و تمسك بخيوطها البراقة لتصمها إلى صدرها بحنان خوفا من ذلك الزائر المظلم ... الذى لا يقدم على الظهور حتي يرى الشمس تذهب فيغطى بردائه الخشن على أحقاد الناس و يفتح يديه للشر فيلعب ما شاء له اللعب .

- مولاى الملك .. أتيتك بغنيمة تركض في رواق الملك غير عابئة و لا سائلة عن العواقب ..

رفع الملك عينبه عجبا و قال : إن حاجبنا لا يفتأ يفاجئنا اليوم .. فماذا أنت صانع و مازلت في يومك الأول ..

فتبسم ليث و قال : مولاى .. رمتني الأقدار عند بابك و أرجو أن تسمع لحديث هذا العبد فله شأن لا يقضيه إلا الملك ..

- ليس للعبيد رجاء لدى الملوك و لكن لديهم حقوق علينا و إن علمنا حقا مغصوبا و لم ننصف صاحبه فليس من داع لهذا التاج على رؤوسنا ... أدخل العبد لنرى ما نأمر فيه ..

دخل العبد مرتجفا فنظر حوله و لما رأى الملك .. شخص بصره ثم رأى قيس يتفرس فيه و إن لم يبدى حركة .. أما اليفع قد ضاق صدره و قد عرف أن هذا عبد لعروة ... أما عروة و قد كان واقفا خلف اليفع متعجا أن ليث أصبح حاجب الملك .. و لم يهتم لأمر هذا العبد و ام ينظر له و كأنما لم يره يوما..

- ماذا ورائك ..؟ قل فليس لدى الملك الليل بطوله ..

- مولاى .. إن الظلم لجزائه وخيم .. و إني مظلوم ...

فقال ليث : و هل كان العبيد يوما يحملون في جيبهم قطع الذهب و المال رائحين داخلين و كأنما ملكوا القصر ...

أظهر الملك الإستغراب و قال : حدثنا بما رأيت و إلا أريناك العجب من عدل الملك ..

سقط العبد خوفا و كان يرى في عينى اليفع و عروة تهديدا خفيا يرسلانه له من وراء الملك .. فقال بشفتين ترتجفان : فهل أمن على نفسى يا مولاى ..

- قل فأنت آمن من الموت ...

- مولاى ..

قاطعه الملك : ليس لك غير ذلك .. و لا تكثر في الإستجداء ..

- إني طويل اللسان ثرثار يا مولاى .. و ليس ذلك إلا عيبا في ، و ما كنت بقاصد شرا و لو أردت ذلك ..

نظر الملك إلى عمر و قال : غليك بيده يا عمر .. فإنما يترائ لنا أن الأمر سيطول ..

فوقف عمر وجرد سيفا أخذه من ليث و وقف ينتظر إشارة الملك .. فرفع الملك يده و إرتفع معها السيف .. فصرخ العبد : مولاى .. مولاى .. لقد أمنتني ..

لم ينظر إليه الملك بل قال : قطع يد لن يزهق روحك .. ولكنه يطلق لسانك ..

فقال العبد لاهثا و باكيا : لقد أشعت أن مولاى المنذر قد دبر لقتل كوكب بنت ثعلبة يا مولاى ..

حبست الأنفاس في البلاط و شخص الملك ببصره ثم أمال رأسه على كف يده و قال هازئا : و ماذا فعلت بعد ذلك ..؟

بلع العبد ما في حلقه و قال : لقد ... مولاى ... إن بنى ثعلبة يتأمرون ليثأروا لكوكب من مولاى المنذر .. بعضهم يريدون قتله في جنح الظلام ..

فإهتزت القاعة بزعقة الملك و وقف على قدميه فتراجع العبد خوفا .. و زحف بيديه و قدميه مبتعدا عن هذا الموت مرتديا أبهى و أبدع اللباس في الشرق و بلل البلاط لدمعه

- من .... من يجرأ على رفع السيف دون أمر مني ..؟

حاول العبد أن يتكلم و لكن الصوت حبس في حلقه .. و لم يعد يرى شيئ من وراء الدموع في عينيه .. فظل يرتجف و ينتفض ....

نظر الملك إلى عمر و قال : إقطع يديه و لسانه..

ثم وجه وجهه الحانق إلى ليث و قال : أين زبيد ؟

أجاب ليث بهدوء و إن كان غضب الملك قد فاجئه ، و لكنه تجلد : لقد خرج مع مولاى المنذر في ليل أمس و لا خبرعنها يا مولاى ..

إرتجف فك الملك فأطبقه كالصرم الجامد .. و جمع يديه خلف ظهره و قال : أخرج يا عمر مع ليث و مئة فارس مع الحراس و إبحث عن الأمير و زبيد و إحذر أن تسفك دما .. إلا إن إضطرك الموقف ... و إلا فإتني بالجناه و كل من تراه يحمل سيفا عدآ زبيد و المنذر ...

فقال وائل و قد كان حاضرا : ألا أخرج يا مولاى.
فرد الملك بضيق : بل تنتظر مع الملك هنا حتي يبلج الصباح ..فلا نريد أن يسيل دم بنى بارف و كفى عبثا .. لقد إنقظى زمان الحلم و جاء وقت الفصل ...
ثم قال موجها كلامه لأحد بنى العباس .. و هو رجل لديه أربعة أولاد إثنان منهم في الجيش واحد من الحراس ، و الأخير مات في الحرب مع لبيد : يا عاصم تركب مع بعضة عشر فارسا إلى حمزة الثعلبي و إئتنى به .. فلا ينقضي هذا الليل حتي تشتعل الحرب أو تبرد ..
و عاصم من بنى العباس أحد أبناء عمومة الملكة و كان نديما للملك و مستشارا له ... و الملك يأخذ برئه و مشورته و قد كان في ما سبق قائدا ثاني للجيش .. و لكن الملك عزله و جعل حمزة قائدا ثاني للجيش .. و أما القائد الأول فكان الملك أو المنذر حسب الحرب التي يخوضونها .. فخرج عاصم ليتفد أمر الملك و خرج عمر مع ليث يجران العبد الذي أغمي عليه من الخوف .. فقام عمر بقطع يديه الإثنين و لسانه .. و خرج لينفد ماأوكل إليه من الملك و سيف ليث يقطر دما ..

{٢٣}
- كم رأيت أن الأمير المنذر يمكث ..؟
- ربما يطول الأمر حتي نرى خياله يخرج من الخيمة ..
- أرى يا رزاح أن ترميه بالسهام فتصيب قلبه و تهرب فلا يعلم أحد من قتله .. و يضيع دمه ..
همز رزاح فرسه قائلا بحنق : لا و الله .. بل بهذا السيف أخذ بثأر كوكب و لا يفمض

لى جفن حتي يصل السيف لرقبة المنذر الجبان ..
سكت صاحب رزاح و قد عرف أن تأييده لرزاح في هذه الفكرة كان خطأ .. و خاف عاقبة ذلك على العشيرة كلها فقال : إذا لا تقتل أحدا غير المنذر و أخف وجهك باللثام فلا يعلم من أنت ..
غضب رزاح من الضعف و الخفة يظهرهما صديقه فقال له : يا بلال أترى أن كوكب ابنة عمي.. و لما طلبتها للزواج ردني حمزة ردا قبيحا .. فسكت و غفرت و يموت لبيد و لا يضعونني لأكون سيد بنى ثعلبة و يعود الأمر لحمزة ، فعدت للإبتسام و الصبر .. و أما أن يأتي أمير غر فيخطب كوكب و يقتلها بدم بارد فإني إذا أضحوكة العرب و لا أطيق ذلك .. فإما أن تحمل معى على غريمي و إلا فارقني و لست أسئلك ما لا تطيق ..
فغضب بلال لصديقه و تذكر عهد الصداقة و الأخوة فقال : معك إلى الموت و لا أبالى يا رزاح فليكن ذلك و سنحمل على المنذر و لا يثنيني عن ذلك إلا لسانك .. فإمضي فيما أنت ماضي .. و أنا من روائك أحمى ظهرك و أشحد لك السنان ..
فلمعت عينا رزاح فرحا و أمسك بالسيف و قال : نعم الأخ أنت .. و أما باقي الرفاق قد دب الخوف في نفوسهم و حلوا أنفسهم مني ... فليذهبوا لحمزة الذي يبكي زهرته الميتة و ليأخذ رزاح بثأرها وحده .. ليس من أحد معي الأن غيرك يا بلال فإن غلبت على أمرى فإهمز فرسك و أعدو لا تلوى على شيئ و لا تجر أهلك معي في ذلك ... و دعنى للموت يخطفني لعلى أستريح ..
فقال بلال بحزم : لا أترك جانبك و لو كان الملك هو جلادك فليجلدني معك .. و الله على ما أقول شهيد ..
فإنبسطت أسارير رزاح و وثق في صديقه .. و عاد مع بلال ينظران إلى الخيمة التي كانت تحوى المنذر و زبيد .. و لم يعلما أن معهم ثلاثة أشخاص أخرين .. و لكن كوكب كانت تنادى لرزاح أن أقتل المنذر و أخذ بثأرى و كانت أوهاما رزاح تترائي له فتستولى على تفكيره و لبه ..

أخذ بارق سيفا و تقلده و سلم فرسه للريح .. ليطير به إلى الغابة خلف القصر الشتوى في نذا الليل ملبيا نداء سيدته ظبية ، و لشعوره بالواجب تجاه مولاى المنذر ليقف في طريق الخطر و يحفظ له حياته و إلا تخطفته أيدى الخوف الغادرين ... الملتفين بستارة الظلام لا يجرؤون عل قتل المنذر في وضح النهار ..

توقف ينظر حوله مفكرا فأين يكون زبيد .. قد أخذ المنذر في هذا الوقف و دون معرفة الملك .. و خطر له خاطر فمضي فيه فورا فليس من وقت للتفكير ... إما أن يكون ذلك المكان المقصود أو يعود لمولاته ظبية خالى الوفاضى حاملا نعي المنذر يطرحه علىقدميها فتبكيه ما شاءت البكاء

... لمعت أحزمة الخيل الفضبة التي تزين عنق النعامة و فرس زبيد التي تسمي رباء ، و كانت من أحسن الأفراس و أسرعها أهداه إياها الملك في يوم الجمار .. عندما كان فاريا في الجند فشارك في السباق و أعجب الملك به فجعله من الحرس الملكي .. ثم أصبح قتئدا للحرس و كان زبيد يرافق المنذر في صبده و رحلاته دئما لا يترك جانبه أبدا .. و المنذر لا يخرج لصيد أو لجولة حول القصر إلا و طلب المنذر معه فهو رفيق صباه و صديقه ... و هما الأثنان يعشقان ركوب الخيل و إقتنائها و للمنذر و حده في المملكة أكثر من ثلاثين فرسا أصيلا .. يشتريها و يركبها و كانت منها الجيداء التي وهبها لظبية و النعامة التي يرصلها الأن ... و من العجيب أن المنذر و هب أحب أفراسه إليه لظبية ، ولكن ليس في ذلك فظبية هي رجاءه و مناه بعد رضا الملك ..

مضي وحده يركض فرسه حتي هيئ له أن الأرض قد إبتلعت المنذر .. حتي رأى نارا صغيرة ببن الأشجار في فسحة كبيرة و تأكد من ذلك لما رأى النعامة تأكل من العشب فزفر إرتياحا .. و ترجل عن فرسه و إقترب بهدوء من الخيمة التي صنعت من الجلد ... و رأى خيالا في الخيمة ينهض فتوقف و عرف الشر من ذلك و قال بصوت عال :

جئت برسالة لمولاى المنذر ..خرج رجل لم يتبين وجهه في الظلام شاهرا سيف و قال : من رأسلك ..؟

-مولاتي ظبية بنت وائل بن بارف ..

- قل الصدق و إلا قطعت رأسك .. كيف عرفت مولاتك أن المنذر هنا ..
- أنا عبد لها و أدعي بارق .. فإن شئت يا سيدى خذني رهينة و تبين مني الحق .. و إني صادق فيما أقول ..
خرج ظل أخر من الخيمة و قال : و الله لا أرد رسولا و لا قاتلا إن جاء بإسم ظبية ... إقترب و قل رسالتك ..
فعرف بارق أنه المنذر فلما حذا بخطواته قرب النار .. رأى وجها براقا جميلا فيه العلو و النسب و الهيبة .. و كان زبيد واقفا قربه ، فأرخي يده و أعاد سيفه لغمده و قال : قبل أن تقول رسالتك ، كيف عرفت هذا الموضع يا بارق ..؟
فقال بارق و قد أحس أن زبيد لم يطمئن على مولاه : بحثت لساعات و خطر لى أن أحسن مكان يخرج إليه مولاى المنذر هو قرب الكهف .. فلما دنوت منه رأيت النار و النعامة فرس مولاى فتأكدت ..
لمس زبيد الصدق و الهدوء في هذا العبد و لكنه لم يظهره له : وهل كانت الرسل تحمل سيفا إلا لتغمده في صدر المنذر ..
بغا بارق و خاف عاقبة ذلك و قال : مولاى لا يجدر بقائدالحرس الملكي إلا أن يكون مثلك في حرصك و أمانتك .. و لكني جئت بسيف بأمر مت مولاتي ظبية لأن رسالتي في غاية الأهيمة .. و لو سمحت لى فأعلمك بالخبر..
فضحك المنذر و قال : إنك حقا عبد لبنى بارف ، فحتي عبيد هم فصحاء و ثاتنون الجنان .. إقترب و قل ما هي الرسالة ..؟
فقال زبيد : مولاى .. لا أسمح له أن يقرب منكم حتي يرمى السيف ...
فقال المنذر بصبر : أما و قد جاء من عند ظبية فله أن يطال بالسيف ..
- مولاى ..
قاطعه المنذر : زبيد أطع و لا تطل ..
فقال زبيد بحنق : سمعا و طاعة .. و لكني لن أترك جانبك فليقل رسالته و لا يخطوا للخيمة خطوة واحدة ...
فتبسم المنذر و هو أعلم الناس بحرص و خوف زبيد عليه و قال : أما الأن فقل ما

ورائك ..؟
فقال بارق : جئت يا مولاى لحمايتك .. فإن بعض الملأ يتأمرون عليك ليقتلوك في هذا الليل .. و لست بكاذب ..
فلم تتغير ملامح المنذر و ضحك قائلا : و من يربد حياة المنذر يا بارق .. أليس الأجدى أن يأتي في النهار ليأخذ روحي و يمضي بها ..
- مولاى .. إنهم لا يجررون ..
نظر المنذر إلى زبيد قائلا بمرح : أرى أن بارق قد جاء ليسلبني حياتي يا زبيد .. فماذا ترى ..؟
ضحك زبيد و قال : إذا أرسل روحه إلى بارئها يا مولاى ..
فخاف بارق و رأى أنهما لا يصدقانه فعمد إلى الدهاء و قال : فإن رأيت يا مولاى أن تقتلني فإفعل ... و لكني ما كنت لأقتل المنذر و أخبره بذلك بل كنت عهدت للسهام و القوس فأضرب ضربتي بين الأشجار دون أن يراني أحد ...
فقال المنذر : أحسنت القول و لكنك لا تعلم من منا هو المنذر في هذا الظلام .. فتأتي مستخفيا وراء إسم ظبية فيسمع المنذر بذلك فبقربك .. ثم تضرب صدره بسيفك ....
و إبتسم المنذر و فعل مثله زبيد .. فخاف بارق على نفسه و قال : خذ سيفي يا مولاى لتأنس الصدق و الوفاء ..
فتقدم زبيد و إقتلع سيفه دون أن يقاومه بارق ، و فتشه فلم يجد رسالة أو خنجرا ... فأمسك السيف بيديه و قدمه للمنذر ، فلم يعبأ المنذر بالسيف و قال : دع السيف عندك يا زبيد فإن كان كاذبا فهو لك غنيمة .. و إن كان صادقا أعدنا له سيفه .. و الأن حدثنا بما تعلم عن المتأمرين يا بارق ..
فأحس بارق أن حركة تأتي من الخبمة فوضع زبيد يدن على السيف و قال بنفاذ صبر : و الله إن لم تقل و تصدق جعلتك تسبح في دمك أيها العبد ..
فقال بارق : مولاى سأحدثك بالخبر من أوله .. و لكني أخاف أن يكون أحد وراء الخيمة فيسمع الحديث ..
فقال المنذر : ليس هنا إلا ثلاثتنا مع الأفراس و ما ذلك الصوت إلا أرنب أو عقرب ..

فحدثهم بارق بأمر العبد الذى أرسله عروة و الحديث كله ، فكان زبيد يضفط بيديه على سيفه و سيف بارق غضبا .. و المنذر يتصت للحديث بهدوء فلما إنتهي من حديثه قال : أعد له سيفه يا زبيد فهو صادق .. و إن لم يكن كذلك قتلناه و إلا يشهر بسيفه في وجه عدونا .. أتفول أنهم يكمون لى هنا .. فلما لم يرسلوا حرابهم و أيهمهم لقبي حتي الأن ..

فقال بارق : إنهم يريدون أن يقتلوك يا مولاى .. و لكنهم يخافون العواقب و حمزة الثعلبي لا يفكر مثلهم .. فهو رجل حرب له شرف و أمجاد و لو أراد قتلك يا مولاى لفعل ذلك أمام الملك و لا يبالى ..و لكن المستخفي في الظلام يريد الغدر و الهرب لينجو بنفسه و روحه ..

فقال زبيد : إن كلام العبيد و الجوارى لا يأخذعلى محمل الجد فنصفه مزور و مصبوغ بالأساطير ..

فقال المنذر موضحا : ألا ترى يا زبيد أن الملوك تستعين بالجوارى و العبيد للتجسس و قضاء حاجاتهم .. فتعلم أسرار القوم و خفايا البيوت .. الجبان الغدار يستعين بهم ايضا لفضاء شروره .. و إرضاء غروره فهم أعوانه و إن العبيد و الجوارى ليعلمون من أسرار البيوت مالا يعلمه الملك بنفسه ..

فقال بارق موافقا : نعم يا مولاى .. فالعبيد و الجوارى ليس لهم ما يشغلهم إلا التنصت و التسمع .. و نقل الأحاديث و اللغو في الكلام ..

فقال زبيد : أما هذا فنعم .. و لكن تناقل الكلام يزين الأصل بالكذب ..

فقال بارق : إن كان الكذب ينجي يا مولاى فإن الصدق أنجي و أنجي ...

فتمتم المنذر : حانت الساعة فلنعد للقصر و نجلى الأمور ..

فقال بارق : مولاى أتخرج من الخيمة ليتخطفك الغد و الشر ..

فقال المنذر مستغربا : أترى أن ننتظر حتي يحوطونني بالسهام .. أم أخرج لألقاهم بصدرى و لست بباق ساعة واحدة .. فقم معنا لنرى أئ الردائين تلبس رداء الصدق ام الخيانة ..

فقال بارق : إن لى رأيا في ذلك يا مولاى ..

فأنصت المنذر لرأيه و إستحسن ذلك فقال : و هذا الرأى أيضا في محله .. فماذا تقول يا زبيد ؟

هز زبيد رأسه موافقا و قال : إركب الأهوال فأركب ورائك يا مولاى ..

فنظر المنذر إلى الخيمة و قال : نركب الموت الأن

.. فهيا أخرج معنا ..

فبهت بارق و لم يفهم .. حتي رأى خيالا بخرج من الخيمة و إتسعت عيناه فقد كان رراء الخيمة ناقتين و فرس .. فلم يعلم ما حاجة المنذر لهم و لكن المنذر تبادل النظرات مع زبيد و إبتسمآ بخبث

.. و ركضت النعامة بصاحبها مع زبد في طريقهم للقصر حيث كان الملك ينتظر دخول حمزة و المنذر و زبيد .. و قد شغل عقله بالمنذر و لم يدرى أئ أرض طوت إبنه ...

وصل الخبر للملكة فطلبت أن ارى الملك .. فسمع لها بذلك و دخلت معها زبيبة و قد كانت كل منهما في خوفها على المنذر محمرتين

الوجه ...

- مولاى ... ما هذا الخبر ... أيجرأ أحد عبيدك أن يمس مولاى المنذر بسوء ..

نظر الملك إلى زبيبة بعطف و قال : لن يمس المنذر .. و في الملك نفس يتردد يا أميرتنا ...

تقدمت االملكة و قالت : مولاى .. إبنى المنذر .. لا يعلم أحد أين هو فيكف تضمن نجاته ...

وقف االملك و مشي إلى الملكة و قد كان القواد و الندماء موجدين .. ينظرون للملك الذي وقف أمام الملكو و قال بحدة : أما أميرنا المنذر فهو فارس حرب و له أن يجوب

البيداء دون حراسة أو إستشارة الملك ... و لكن الملك لن يسكت عن إى محاولة لقتل أنجاله أيتها الملكة ...

لمعت الكراهيه فب عينى الملكة و قالت بصبر : هل أصرح بظنوني يا مولاى ..

تعجب الملك و تبادل الرجال البلاط النظرات و أحس وائل بالشر فحبس أنفاسه ..

- إن الظنون تذهب العقول .. و لكنها أحيانا تكشف الحق و تميز الطريق .. قولى يا ملكتي ماذا تظنين ..؟

- أرى أن مولاى الملك قد تعهد أمام قواده و رجال دولته أن يقطع رأس الخونة .. و لو كانوا مقربين ..

ففهم الملك ما ترمي إليه و لكنه إدعي الإستغراب و قال : نعم أذكر ذلك .. و لن نسكت عن حرمة الضيف التي هتكت ..

فرفعت الملكة ذقنها بتحدا و قالت : لعل الملك يرى أحد رجال دولته قويا و مقداما فيقربه .. و ينزل كريمته ضيفة علبه و يجعلها أختا لمولاتي زبيبة .. ثم يكفر هذا الرجل بالفضل فيطمع أن نكون إبنتخ زوجة لولى عهده فيعرضها عليه ..

إهتز وائل خوفا و نظر الملك يستشف رد فعليه على كلام الملكة .. لكنه رأى عينان تشتعلان و فما مطبقا و جسدا واقفا كالضنم ، لا يتكلم و لا يتحرك .. فقالت الملكة : و لما لم يتم له هذا الأمر يعمد لسبيل أخرى أكثر خبثا ..

قال الملك : أكملى فنحن نسمع حديثك للنهاية ..

- مولاى .. أترى أن كوكب بنت حمزة قد قتلت في حماك و لم يعلم والدها المسكين لمن يثأر بدمها .. و ثأره موجود في هذا البلاط و يجلس متنعما برضي الملك ..و متمرغا في النعيم و الملك يغضي الطرف ..

ظاهر العبث في عيني الملك و فتر ثغره عن إبتسامة و قال : و من هو هذا الرجل الذي تتكلمين عنه..؟

- مولاى .. ألا تدعني أكمل حديثي ...

فرفع الملك حاجبه و قال : أكملي يا سمية .. و الملك ينصت لك ..

فقالت : مولاى .. لمست بيدى أن هذا الرجل قد تواطئ أعداء الملك .. ليقتل كوكب

و لا يلوث يديخ بالدم ..فلما تم له هذا ، فها هو يجلس مطمئنا برضي الملك و سوف ينقلب عليك يا مولاى .. عندما ترتفع رايات االحرب و يدخل الناس لجة الموت و غمرة القتال فلا تعلم من أين أتتك الضربة ..

فنظر الملك لزبيبة و قال : و هل تظن أميرتنا مثل هذه الظنون .. و هي تعلم أن الملك سيأخذ بقولها و حكمتها في هذا ..

فقالت الأميرة : و ترضي بحكمي يا مولاى ...؟

هز الملك رأسه إيجابا : نعم نرضي و نأخذ رأى البلاط ..

- إذا تنظر في الأمر من كل وجوهه يا مولاى .. فليس لدي ضيفة عدآ بنت وائل و هي من أنبل و أشرف بنات السادة خلقا و أطهرهن وجدنا ... و أما وائل قد يساعد الفرس لينقلب على الملك فهذا إتهام خطير و إن فعل فرجال غشيرته لا يفعلون .. و يصفون مع الفرس و يقتلون أخوتهم العرب ..

فقال الملك : و هذا الرأى و نحن لن نظلم أحدا ..

و أرى أن خوف الملكة قد صور لها صورا أبعد ما تكون من الواقع ..و نحن نثق في وائل كما نثق في طهارة إبنته ظبية و لو لم نلمس أخلاصهم بأيدينا لما سكتنا عن ذلك .. و لكن ننتظر أن يحضر حمزة و المنذر و نقرر ما نفعل ..

ثم نظر للملكة و قال بشفقة : إن عاطفة الأمومة لتطغي على إتزان العقل و نجعل الملكة تتخبط في الأوهام .. فليس في البلاط الملك مثل ذلك .. و إن وجد فنحن لن نرحمهم أبدا .. فثقي بخاصة الملك كما اثقين بعدالتنا أيتها الملكة و عودى عن ظنونك ..

تميزت الملكة من الغيظ و لكنها تمالكت نفسها قائلة : أعذر تسرعي يا مولاى .. فخوفي على أميرى المنذر غلب على عقلي و سوف أصلح ظنوني و أرضخ لعدالتك و أرضي بحكمك ..

ثم تبسمت إبتسامة رضي و صبر لتطفي أو لنقل لتخفي بها الخلاي الذي لحق بها في بلاط الملك أمام وائل ..

ركع وائل بخضوع باكيا و قد سعد أينما سعادة بثقة الملك به و تمتم كلمات الشكر ..

فقال الملك

: لقد جعلنا زبيبة حكما فأحسنت الحكم .. فإجلسي يا أميرتنا لتري باقي الجلسة .. و أنتي أيتها الملكة إجلسي بقربها لعل الغشاوة تذهب عن عينيك ...

و كان ما فعله الملك هو الدهاء بعينه .. فهو في هذه الدوامة من المشاكل يظهر ثقته لغير من يثق به و يسمع لكل الأطراف ثم يعطي حكمه النهائي أمام االجميع فلا يستطيع أحد الرد إلا برضي .. و عاد لعرشه فدخل الحارس و قال : مولاى .. حمزة بن ثغلبة ينتظر الإذن بالدخول ..

- فليدخل و لا يقل أحدكم شيئا حتي نأمره بذلك .

فلما مثل بين يديه إستدناه و بش له و أجلسه و قال له : يا حمزة ..ماذا تقول في وائل بنى بارف

..؟

عجب حمزة من سؤال و لكنه إستدرك أمره و فهم غرض الملك فقال : و الله لو جبت البيداء و صحراء العرب ام أجد أثبت منه جنانا في العرب .. و أطول سيفا على العدو و أكثر غيرة منه على الحرمات ..

فتبسم وائل لهذه الصراحة يبديها حمزة .. رغم الأقاويل التي سمعها عم وائل ، و إرتفع في عينيه و حفظ له في قلبه هذا الموقف ..

- لقد قيل أن وائل فد دبر لقتل إبنتك في حماى يا حمزة أتصدق هذا القول ..؟

فتلون وجه حمزة و قال : من يقول ذلك .. لأضرب عنقه يا مولاى .. و الله لإن كان ذلك صحيحا لا أصدقه و لو سمعته عن لسان وائل بنفسه ..

نظرت زبيبة بفرح إلى الملك لأنه بدهائه و حكمته قد أخمد هذه النار التي بدأت تشتعل .. و قال لحمزة مستغربا : أراك لا تذكر ثأرك يا حمزة ..؟

فقال حمزة بلسان قوى : ما نسيته يا مولاى ، و لكني عمدت لأن أحضر و أخبرك بما عولت عليه من أمرى .. فجائني رسولك يدعومني للمثول بين يديك ..

إعتدل الملك في جلسته و قال : و على ماذا عولت ..؟

- على أن أترك سيادة بنى ثعلبة و أوكل رجلا مقدما عليها .. و أركب ناقتي و بيدي سيفي و درعي على ثدرى فأجوب أقاصي الأرض .. و لأخذ ثأرى و ألحث عن غريمي و

لو كان تحت عرش كسرى .. أو وراء ستارة القيصر لوجدته و أسلت دمه بسيفي...
فخفق قلب الملك و قال : و إن كان غريمك في حمآ إحدى القبائل ..
- أسئله أن يعطيني الرجل فأقتله و ينتهي الأمر.
فقال وائل : ويلك يا حمزة .. و إن تذكر حق الجوار و لو يعطك جاره ..
نظر حمزة و قد أخذ صدره يغلي كالمرجل : و الله لإن فعل ذلك لإشعلنها حربا لا تخمد أبدا .. و لتتحدث بها العربان من اليمن إلى المغرب و لا أبالي ..
فقالا الملك و قد بلغ غايته من الأمر : فأما ذلك فنحن نسودك برجالنا لتكمل ثأرك .. فهو ثأرنا أيضا و لكن أتمشي بنى ثعلبة وراء ناقتك يا حمزة و تسفك دمائهم ...
فعجب حمزة و قال : أبيت اللعين يا مولاى .. و ما دخل بنى ثعلبة في ثأري .. فأنا كاف لها و بنى ثعلبة يظلون تحت حمى الملك لا يتحركون إلا بأمر منه ..
فقال الملك بخبث : و إن ندبتك للقتال يا حمزة .. قبل أن تبلغ ثأرك ..؟
فقال حمزة و قد أحس بالخطر : و الله لا أدخل حربا و ربما لا أخرج منها و يضيع دم إبنتي يا مولاى .. و أما بنى ثعلبة فبكون لهم سيد جديد يرفع سيف الملك و يقاتل في سبيله ..
فتبسم الملك و قال ليخفي غضبه : أتفعلها يا حمزة و لا تأمن على غضبي أن يقع عليك ..؟
فرأى حمزة الموت واقفا خلف تلك الإبتسامة و قال : أفعلها يا مولاى و قد حاربت ومنا تحت لوائك و لم أنسي فضلك .. فما إن أخذ ثأرى أعود لأموت في سبيلك يا مولاى ..
فأضهر الملك الغضب و قال : فأما ثأرك فنحن أحق به منك .. و أما بنى ثعلبة فلا يسودهم إلا فارس جدير بذلك .. فلست أرى أجدر منك بها يا حمزة ..
وقع حمزة فب يده ندم لأنه جاء للملك و قال مستعطفا : أسئلك يا مولاى أن تعطف علي و ترحمني فإن لم أجد غريمي و أشفي غليلي لأموتن قهرا و حزنا ..
فلم ينظر إليه الملك و قال : ننظر عودة المنذر و زبيد و نرى رأيهم ..
و في أثناء ذلك كان اليفع جالسا في مكانه و عروة يهمس له شيئا ما .. و قد بدآ البشر

على وجه عروة ... و أما قيس فقد كان مضطربا ينتظر عودة عمر و ليث ليعرف ماحل بأخيه المنذر ..

{٢٤}

إنتشر الغبار وراء زبيد و رفيقه و هما يركضان فرسيهما في الغابة نحو القصر .. فلما جاوزا بعض الطريق نزل رزاح و بلال يريدان تنفيذ خطنهما .. فتوقف زبيد و رفيقه عن الركض لما بدآ لهما أن فارسان يعترضان الطريق .. فقال زبيد صارخا : أين السير يا أخا العرب ..؟

فلم يرد عليه رزاح أو بلال بل شهرا السيفين ، فبدت من زبيد إبتسامة و أخرج سيفه قائلا : نحن ملاك هذه الأرض فإنتسبوا ..

فردوا عليه بالضرب فضرب رزاح زبيد و تلاقي السيفان .. فصرخ بلال : عليك بالفارس الأخر فهو غريمك ..

فتنبه له رزاح و أخذ يصارح الفارس الراكب على النعامة بالسيف و هو ينفث نارا و قال : و الله اليوم يومك يا منذر ...

و تقدم بلال يلهي زبيد عن رزاح و لكن ما كاد بلال يلقي بسيف زبيد القوى حت سقط سيفه ..و قفز عليه زبيد يضربه حتي همد و أخرج حبلا أوثقه به .. فسمع رزاح يقول : و الله فعلتها و قتلت المنذر ..

إنتفض زبيد و رأى رفيقه ميتا و أخذ رزاح يطعنه االطعنة تتلوا الأخرى .. فزعق زبيد و هجم على رزاح و لكن فارسا دخل هذه العوعمة الصغيرة .. و ضرب رزاح بسيفه فترنح ألما .. و نظر للفارس فنزل الفارس و صرخ : عليك به يا زبيد ..

فقفز زبيد عليه ليوثقه فلما أوثقه رأى الفارس مائلا بجسده على الميت المسكين و نظر

إلى وجهه فزفر و قال : و الله أخذنا غدرا يا زبيد فهيا للملك .. لقد كات و لابد أن يعلم الملك بإخلاصه و يرى وجهه..

فإهتز زبيد و أخذ رزاح و بلال و رفعهما مع الفارس للأفراس .. و مضى يجر بيده أفراسهم أما الفارس .. فحمل الميت الذى صبغ الدم ملابسه التي لا يرتديها إلا الملوك و الأمراء .. و إحتضنه لصدره و مضى به على ظهر النعامة مع زبيد للقصر الشتوي ... و مضت هذه القافلة الصغيرة عائدة للقصر تحمل أنباء ستهز عرين عن عرشه ..

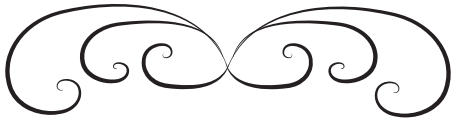

- أخرج يا عاصم و لا تعد حتي تتبين عمر و ليث ..

خرج عاصم بأمر الملك و هو كما أسلف ذكره مخلص للملك .. و من أبناء عمومه الملكة ، و لما خرج سمع أصوات الخيل و الفرسان و رأى غبارا يتصاعد تحت ضوء المشاعل أمام القصر ... فتقدم ليستقبل الوفد فرأى على النعامة فارسا لم يعرفه حاملا بين يديه جسد الأمير المنذر مضجرا بالدماء .. فصرخ عاصم فزعا : ويكم .. ماذا جرى لمولاى المنذر ...؟

فنزل زبيد و تلقاه عاصم من تلابيبه و رفعه حانقا

: أترافق المنذر و تحضره ميتا .. بئس الحارس أنت ..

ثم دفعه عنه ليرى المنذر ة تلقاه من الفارس الذي يركب النعامة .. و كان عمر و ليث قد إلتقوا مع هؤلاء الفرسان و صحبوهم .. و على وجوههم فمامة سوداء و قد برح بهم ارضيق حتي أن بعضهم ظفرت من عينه دمعة ..

ظل زبيد هادئا فقال لعاصم : إستئدن لنا لترى مولاى الملك ..

فلم يرد علبه عاصم بل حمل الميت و تناقلته الأيدي و وضعوه في غرفة صغيرة .. و

وضع عليها زبيد حارسين و مشي لبلاط الملك عمر و ليث صامتين .. و عاصم تعلو وجهه نظرات الصدمة و زبيد أمامهم فدخل ليث و قال : مولاى الملك لقد خضر مولاى المنذر و زبيد ..

ثم سكت فرأى الملك أن يطمئن على المنذر فقال :

: حسنا فعلت .. فليدخل أميرنا المنذر و زبيد ..

فسكت ليث ، فقال الملك و قد إنتابه الخوف : ويحك .. أين المنذر ...

فقال ليث : سأدعوه ..

و خرج فإهتز الملك و خفق قلب زبيبة أما الملكة فضلت تنظر للباب مترقبة دخول إبنها ... فرأى الملك رجلا مع سيف يرتدى ملابس باليه ربما كانت للعبيد يرتدونها ..

فركع أمام الملك و قال : مولاى أتيت إليك فقد طلبت رؤيتي ...

كادت زبيبة تفقد وعيها و قد ظنت أن المنذر قد قتل و لكن الملك تمالك نفسه و قال : تقول أني طلبت رؤيتك و أنا لا أعلم من أنت .. فأسفر عن وجهك لنرى من تكون و أئ جرأة تملك ..

فقال الرجل : معي ضيوف لمولاى الملك .. فهلا سمحت لهم بالمثول بين يديك ..؟

فعجب الملك و قال : أين ليث فليأتني ..؟

فلم يدخل الحاجب ليث ، فقال الرجل : لقد أرسلته ليحضر الضيوف لمولاى الملك ...

فإرتعشت فرائض البلاط و إهتز الرجال و قال الملك ضاحكا : و الله إنك جرئ و تجترئ على الملك .. فلنرى لأئ حد تصل بك شجاعتك .. هل رأيت الأمير المنذر .. أم أنك أرسلته لقضاء بعض مهامك و حاجاتك ..؟

فوقف الرجل رغم أن الملك لم يأذن له و قال : إسمح لى أن أطلب العفو يا مولاى ...

و تقدم من الملك و ركع عند قدميه يقبل يديه بإحترام .. فنزلت دمهة من عين الملك و أمسك بالفتي من كتفيه ليعانقه ، و بكي وسط ذهول القوم ... ثم أزال الفتي اللثام عن وجهه فإذا هو المنذر بعينه .. فنهض قيس ليعانق المنذر كاد يبكي هو الأخر .. أما اليفع فقد إبتسم و لم يتحرك عن مكانه ، و جاء المنذر مبتسما صحيحا و سلم على الملكة التي إستقبلته فقبل يديها بحب

.. أما زبيبة فقط سقطت دموعها مدرارا على خديها .. فقام المنذر يهدئها و يمسح دموعها بيديه و هو يقول : أطلب العفو و الصفح منكي يا أميرتي .. فقد أقلقتك ...
قال الملك و قد نمالك نفسه و عاد لموقف الملك الذي يريد إكمال شؤون البلاد : أحمد الله فقد عاد إلينا المنذر سالما معافي ..
فضج البلاط بالدعاء للمنذر و الملك ثم قال ناظرا بحنان للملكة و زبيبة : أتريان أن الملك وفي بوعده ..
فقالت الأميرة : و هو خير من عهد فأوفي ..
أما الملكة فلم تقل شيئا .. و عادتا لتجلسا في مكانيهما عن يسار الملك ..
- أخبرنا بما لقيت يا منذر فيخيل إلينا أنك طفت البحار السبعة ..
فضحك المنذر و جلس بلباسه الغريب الملطخ بالدماء قرب الملك و قال : ألا استقبل يا مولاى ضيوفي ليكتمل الجمع ..
فقال الملك متعجبا : فليدخل ضيوف المنذر فهم صيوفنا أيضا ..
فدخل ليث و دخل ورائه رجلان ملثمان فسلما .. و أزال أحدهما اللثام عن وجهه فإذا هو مالك شقيق زبيد رسول الملك في العراق .. الذي كاد أن يقتل بأمر من سابور { سابور إسم عامل الفرس } .. ففرح الملك وقال : لقد عاد سفيرنا للفرس فإجلس و حدثنا بما رأيت ...
فأطال القوم أعناقهم ليسمعوا الحديث ..
و لكن المنذر قال : فليأذن لى مولاى لأن أمرا مهما لابد أن بنجلي .. و هو ثأر حمزة الثعلبي و مقتل كوكب ...
فنظر حمزة بلهفة ليسمع القول ، فقال له المنذر :
: ماذا تظن حولى يا حمزة ... أتوافق القائل أني قتلت كوكب و قد كانت عزيزة علينا كما هي عزيزة عليكم..
فقال حمزة و قد فتحت جراحه الدفينة : و الله ما رأيت أبر منك بالملك و ما كنت مصدقا ذلك ..
- إذا خذها مني يا حمزة فقد جئتك بقاتل كوكب

.. و اليوم يكشف الأمر و تخمد نارك ..
فتبسم الملك و قال : إعمد للإيجاز يا أميرنا فإن حمزة يكاد لا يستطيع صبرا ...
أما قيس فقد كان يعلم بالأمر لذا كان هادئا يسمع للحديث ، و وجوه القوم ذاهلة و صامتة تستمع للحديث الخطير ..
قال المنذر : أول ما عل فعله هو أن أدعو ظبية بنت وائل يا مولاى ..
فقال الملك : و ما شأن ظبية في الحديث يا منذر..؟
فتبسم المنذر : لها كل الشأن فلولا ظبية لما كان المنذر جالسا يتحدث أمامكم .. و ربما كنت ميتا مضجرا بالدماء في الغابة ..
فعجب حمزة و الملك بل كل الحضرين ، أما وائل فقد كان يشكر الله أن إبنته قد حفظت حياة الأمير رغم أنه لا يعلم كيف فعلت ذلك ..
قال الملك : أدعو ظبية يا ليث فإن الليل سينقضي و لم نحل هذا الغموض بعد ..
قالها باسما و قد هان علي كل شيئ بعد أن رأى المنذر حيا أمامه ..
فلم ينطق المنذر بحرف واحد حتي رأى ظبية ماثلة أمامه و إلتقي النظران فقال الملك : دعوناك لترى أن المنذر لا يكلم أحدا إلا بوجودك ..
فقالت ظبية و قد إستولت عليها الحيرة : أنا يا مولاى ..؟
- نعم أنت و قد جئنا بك انجزيك بحفظك حياة أميرنا المنذر ..
فسكتت ظبية و لم تتمالك أن ترنحت فقد رأت المنذر حيا .. فكان كافيا لتعود لها الحياة مشرقة .. و جال الدمع في عينيها فقال المنذر : أجلسها يا مولاى فقد تغيب عن وعي .. و نحن نريدها أن تشهد على كل شيئ ..
فقال الملك : إجلسي يا ظبية فقد إزددتي في نظرنا علوا و مقاما ..
و كان وائل ينظر إلى ظبية نظرة لفتاة رفعت شأن بنى بارف ، و ليس نظرة لإبنته التي رباها و سهر عليها .. جلست ظبية و مازال عقلها مشوشا فقالت لها زبيبة همسا : إنك تفاجئينني دئما .. إفتحي عينيك و أنظرى إلى المنذر لكي لا تنسى هذه اللحظة ...
ففعلت ظبية صامته و أخذت تسمع المنذر يقول :
أذكر لك يا مولاى أن قاتل كوكب تحت نصرفي فإئذن يا مولاى أن يحضر لنسمع منه

إقراره بالقتل ..
فإنتفض حمزة و قال : أدعوه يا مولاى .. فهذا القلب يكاد يثب من مكانه و هذه اليد ترتعش تريد أن ترتوى بالدماء ...
فرأى الملك حمزة تحول لوحش هائج فقال : أدعوده على ألا يرتفع لك صوت أو يد حتي نحكم في الأمر يا حمزة أترضي..؟
فزفر حمزة لهيبا حارقا و قال بأعين سوداء : أفعل يا مولاى .. و لكن دعني أخذ ثأرى بنفسي
.. فقال الملك : أترك هذا الأمر يا منذر و إقفز لغيره فحمزة قد فقد رباطة جأشه ..
فقال حمزة بلهفة : أمرك يا مولاى .. لقد هدأت و سأسمع الأمر لأخره كرجل صابر.. و لن تسمع لى صوتا ..
سكت الملك ناظرا لحمزة الذي ضغط بيده على صدره ليهدئ لهيبه .. و أشار على ليث فخرج و مرت ثواني .. فدخل يجر جسدا ملثما بالسواد يرتعش خوفا .. تفرس القوم في هذا الكائن المنتفض و قال المنذر : يا ليث إكشف عن وجهه.
فكشف ليث عنه و جحضت عينا حمزة و كاد يثب لولا أنه تذكر وعده .. فقضم لسانه و سكت .. أما الملك فنظر إليه .. رأه جارية فارسة جميلة المحي و واهنة القوى ..
نظرت حولها فرأت قيس فإنتفضت خوفا و أشاحت بوجهها .. أما المنذر فقال لها بجفاء : حدثي الملك بالذي فعلته يا بشتاسب .. و أذكرى أنك أمام ملك الشام ..
فقال الملك : من أحضرها للقصر .. فليس بين جوارينا أي جارية فارسية ...
فقال قيس : لهذا السبب قد شككت فيها و لما جاءت النساء للقصر الشتوي يا مولاى .. خطر لى أن أسأل عنها فقيل لى أنها رفقت كوكب بنت حمزة .. و بعد أن رأيت الجوارى اللآتي متن لم تكن معهم فأرسلت زبيد يبحث عنها يا مولاى ..
نظر الملك للجارية و قال تقززا : من أمرك بقتل كوكب يا جارية ..؟
فتمتمت كلاما بالفارسية فقال الرجل الملثم لغضب : تكلمي بالعربية فأنت تجبدينها ...
تنبه الملك بل الجميع من بالبلاط لهذا الملثم الذى لم يزل اللثام عن وجهه بعد .. و قال

: ألا ترينا وجهك .. ؟

فقال المنذر بسرعة : دعه يا مولاى فحديثه سيطول ..

فقال الملك بصبر : علي بالجلاد ..

فخافت الجارية و ركعت تبكي .. و قالت بلغة عربية متكسرة : أرحموني أيها العرب .. لقد لاقيت منكم الأمرين ..

عبس المنذر و قال بحدة : قولى يا بشتاسب .. ألست من قتل كوكب ..؟

- نعم .. لقد قتلتها و شفيت غليلي ..

فنهض حمزة و عاد للجلوس و لكن الجارية كانت في حالة من السكر الغريب .. فقالت بجرأة رغم صوتها المرتجف : قتلتها و كنت أريد قتل الملك .. هذا الملك الظالم الذي أبعدني عن زوجي و سباني ..

فقال الملك : إذا لست تنكرين .. فخبرينا من زوجك يا جارية الذى تذكربن ... ؟

فضحكت و قالت : هل نسيت يا إبن خالد زوجي.. إنه الذى قتل والدك و طوح بجثته النتنة في الفرات ..

فعلآ صدر الملك و هاج فقال : يا جلاد عليك بها..

فقال المنذر : مولاى .. دعها تكمل .. ليعلم حمزة كل ما حصل ..

أمسك المنذر بيد الملك بهدئه .. فقال : و الله إن عادت لذكر والدنا بهذه الصورة لقطعتها إربا و لا أبالى ..

فقال المنذر : فكيف قتلتي كوكب .. تكلمي و لا تطيلي في الحديث ... فما من داع لتطيلي عمرك ..

فقالت بهدوء وقد شفي غليلها غضب الملك : قتلتها طعنا بأحد الخناجر.. في القلب تماما .. في القلب و كنت أرجو أن تكون في قلب عرين ولكن لم أقدر .. فبئسا لى ..

لم يسطع الملك أن يتحمل .. فقال المنذر : وكيف وصلتي للقصر و قد منعت الجوارى الفرس من دخوله ..

فقالت بجنون : لا أذكر حقا يا سيدى .. غير أني أملك قلادة ثمينة ...

فقال حمزة مقاطعا كلامها : و الله ما عدت أستطيع .. أطلقني يا مولاى عليها لأخنقها

..

فسكت الملك و قال : نأئذن لك يا حمزة .. خذ ثأرك و ليشهد الجميع ..

فقال المنذر : هنا يا مولاى ..؟

فقال الملك : خذها معك يا حمزة ..

فوقف حمزة كالنمر ينقض على فريسته و أمسكها فلم تقاوم أو تهتم .. بل كانت تهذى بالفارسية و تعلقة نظراتها بالملك حتي جرها حمزة و خرج بها .. فإذا برجال بنى ثعلبة فقطع رأسها و عاد بيدين حمراوان مبتسما و الدمع يجول في مقلتيه .. فقال الملك : لست مضطرا لركوب الناقة يا حمزة فقد رويت ظمأك بالدماء..

ثم فقال للمنذر : و الأن و قد إنتهي حديث الثأر .. فكيف وصل الحال بأميرنا ليرتدى ملابس العبيد..

فضحك المنذر و قال : لهذا حديث يا مولاى أقصه عليك الأن ..

فأنصت القوم و قد إمتلئت نفوسهم بالرهبة .. و طولت أعناقهم ليسمعوا .. فقص المنذر الحديث على الملك و قال : فلما هممت بالخروج يا مولاى .. عرض بارق عبد ظبية أمرا..

فقال الملك بلهفة : و ما هو ..؟

- خطر له أن يرتدي لباسي و يركب النعامة ليدفع الغادرين ليظهوا .. و إرتديت أنا لبس العبد فمضي مع زبيد فلما ظن الغادرين أني راجع للقصر تعرضوا لبارق و زبيد .. و كنت يا مولاى ورائهم على فرس متأخرا فرأيت أحد الفارسين يطعن بارق فضربته بسيفي فسقط و لكني لم أقتله يا مولاى ..و صاحبه أيضا هما من الأحياء ..

فقال الملك فجورا : فأين هذا العبد بارق لنجزيه حقه على صنعيه ..

فبدآ الألم على وجه المنذر :لقد مات يا مولاى .. و قد كان الفارس يصرخ بفرح : و الله فعلتها و قتلت المنذر ..

فإهتز الملك : أمات العبد يا منذر ..

ثم قال لظبية : أليس له أهل أو قريب يا ظبية ؟

فقالت ظبية بحزن : لا يا مولاى .. و كنت وعدته إن عاد و قد نجآ مولاى المنذر أن

أهبه حياته و حريته ..
فأطرق الملك حزنا و عاد رافعا رأسه ليقول : ندفنه فنحسن دفنه ..و لقد أبلى البلاء الحسن .. و أما هذان الفرسان فمن هما ..؟
فقال المنذر لحمزة : ماذا تقول فيهما يا حمزة أيستحقان الموت..؟
فقال حمزة : نعم يا يا مولاى .. فإن عمد الملك للعفو و الرحمة كان هذا في ميزان حلمه .. و لا ينقص منه شيئا ..
فقال : كأني بك قد عرفت من هما يا حمزة ..
فأطرق حمزة خجلا و قال : هما رزاح إبن أخي و رفيقه بلال .. و لولا معرفتي بتهورهما و قصر صبرهما لرضيت أن تقطع أعناقها .. و لكني أطلب أن يشملهما مولاى الملك بعفوه ..
فقال الملك : نرى ما في الصدور و نقول رأينا في ذلك .. يا عاصم أحضرهما..
فخرج عاصم و دخل مع رزاح و بلال فركعا أمام الملك و لم يقولا كلمة ..
فقال الملك غاضبا و قد إحمر وجهه : قل وصيتك يا رزاح و أفعل مثله يا بلال فقد حان وقت لقاء بارئكما ...
فإهتز البلاط و رأى حمزة أن الملك قد قرر فورا قبل أن يكلمهما فخاف ذلك و قال مستجديا : مولاى .. إنها هفوت الشباب و إندفعهم ..
فلم ينظر إليه الملك بل قال محدقا فيهما : أوصيا ..لنضرب الأعناق و يسيل دم بنى ثعلبة و يضيع شرفهم ..
فقال رزاح بثبات : أوصي أن ينسي القوم إسمي و يتركوا ثأرى و ليس لى كلمة في المال و ليس لي أولاد أو زوجة .. فإقضي ما أنت قاضي ..
فأعجب الملك بثباته و لكنه أظهر الحنق و قال : و أنت يا بلال ..؟
فقال بلال : مثله يا مولاى .. و ماكنت بفاعل ذلك ولدي من يسنند علي ..
فقال الملك : سيفك يا حمزة ..
فإهتز حمزة و قال : أتطلب مني أن أقطع رحمي و أسيل دم إبن أخي ..؟
فقال الملك : نعم .. و تفعلها رغما عنك و طاوعيه ..

فقال رزاح للملك : لا يا مولاى .. لا تبح دمي لعمي فتصنع الشقاق و تنقسم ثعلبة .. و لكن إضربني بسيفك أو ليفعل المنذر .. أما بلال فلا شأن له و هو برئي من ذلك ..

فقال الملك : أنحن صنع الشقاق أم أنت يا رزاح .. لقد قام المنذر بإحضار القاتل و قد حصل حمزة على ثأره .. و أنت تنصب الشرك لأميرك و لا تبالى ..

فسكت رزاح و نظر بفزع لحمزة الذي هز رأسه مواقفا .. فقال رزاح بقهر : ما كنت لأفعل ذلك لولا ..

قاطعة الملك بغضب : بل إن لك غاية أخرى .. هي أن تضرب ثعلبة في الملك و ستأثر بالحكم..

فإهتز رزاح و لكنه تجلد و قال : فإضرب عنقي إذا .. إني أستحق ذلك ثمنا لتسرعي و لا أمانع فعل ذلك لأطفيئ غضب الملك ..

فسكت الملك و لم يرفع رزاح نظره منتظرا أن يرى الموت .. فأحس ان يديه طليقتان فنظر فإذا عاصم يبتسم له و قد فك وثاقه .. و رأى الملك يبتسم قائلا : إنك لولا تسرعك و قلة تفكيرك لكنت من عظماء قومك .. قم يا رزاح فقد عفونا عنك .. أما العبد المسكين الذي قتلته فقم بدفنه بيديك وكفر عن قتله بدية تعطيها لظبية فهو عبدها ..

فقالت لظبية : يكفي أن يدفن جيدا.. و يكون رزاح عونا لمولاى الملك ..

و فعل عاصم مثل ذلك لبلال .. فقال رزاح و قد غلب عليه الندم ناظرا للمنذر:مولاى .. لقد غمرتني بعفوك .. و سوف أكون خير عون لك ..

فقام المنذر و قال لرزاح : إذا تكون من الحراس الملكي .. أتمانع يا زبيد ..

فضحك زبيد : بل أتمني ذلك .. فقد أعجبني قتاله و ثبات سيفه ..

فقام حمزة و سلم على رزاح و بلال و تلقاه لصدره و قد كان حمزة في هذا اليوم يخلط الدمع في عينيه بمنظر الدم على لباسه .. فلا يردي أيبكي أم يسكت .. فقال الملك : لقد إنقضي الليل إلا ثلثا واحدا منه يا منذر فقص ما بقي من أمر هذا الملثم ..

فقال المنذر: اما هذا يا مولاى .. فحديثه طويل و لا يتسع له كل الليل فدعه للغد مع مالك ..

فقال الملك ضاحكا : سنفعل يا لاميرنا .. فقم يا رزاح فإدفن العبد ..
فخرج رزاح و بلال و قد ملئ قلباهما بالرهبة و الرغبة في تفكير خطئهما ..فقال الملك : إنصرفوا فقد آن للملك أن ينظر في أمور الغد ..
فخرجوا جميعا إلا المنذر و قيس و مالك و ظبية إستبقاهل الملك و ظال ليث عند الباب ...

{٢٥}
أخذ زبيد بيد الرجل الملثم و قاده لأحد منازل الأضياف حتي الغد .. ليسمع الملك و رجال البلاط حديثه و قصته .. فلما مر مع زبيد قرب مرابط الخيل رأى فرسا يصهل و قد كان منقطا .. فبرز عن باقي الخيول بشكله المميز فقال سائلا : لمن هذا الفرس المنقط ..؟
فنظر زبيد و إبتسم قائلا : أنه فرس أصيل للأميرة زبيبة و يدعى الملثم ..
فضحك الرجل و لم يقل شيئا .. و أما زبيد فأكمل المشي معه مبتسما حتي وصلآ للمنزل فدخل و جعل عليه عبدين لخدمة الرجل ..ثم عاد لاقصر ينظر في أمور الحراس ..
قرر الملك أن خروجه ليلقي الفرس سيكون بعد إنقضاء فصل الشتاء لأن بعض القبائل كانت خارج مضاربها .. فلما تعود يندبهم الملك للحرب .. و قد إكتمل للملك الأمر و لم يبقي إلا أن يعلم ما حدث مع مالك في ديوان سابور كسرى .. و لكن الكثير قد حمله مالك في صدره معه سيغير مجرى الأحداث .. و يضطر الملك ليغير قراره في الحرب ..
- أراك يا مولاى قد نسيت امرى .. فتزوج سلمي لليفع و الأن تخطب للمنذر... إبنك قيس لا يحظي بالرضا ..
ضحك الملك و نظر لقيس قائلا : و الله ما نسينا.. فهل هناك عيون قد أوقعتك يا قيس

..

فتبسم قيس و قال بجدية : مولاى .. إن تلك العيون لا سبيل للوصولا إليها ..

تعجب الملك و قال : لقد رغبنا أن نعرف صاحبتها..

فقال المنذر : أظنني عرفتها يا مولاى ..

فنظر إليه قيس بخبث و قال : نعم يا منذر فلا يوجد الأن في مجلس مولاى غيرها ..

فتحلفت العيون حول ظبية التي إحمرت و ظلت ساكنة تنظر لقول الملك و المنذر ..

فقال قيس : أرغب أن تمسي ظبية زوجي يا مولاى ..فليس في الحوارن من تظاهيها جمالا و مهارة في إستعمال الخناجر ..و أظنها قد أصابت قلبي بإحداها ..

فقال الملك لظبية : نرى ما رأى العروس أولا ..

ضحكت ظبية و قالت متجاهلة نظرات المنذر : لن أجد أحسن من مولاى قيس زوجا لى .. و هل هناك فتاة ترفض أو تحلم بذلك ..

فقال المنذر بهدوء : أتسرق ظبية مني يا قيس .. إنك نعم الأخ ..

فقال قيس ضاحكا : رأيتك قد نسيت غرامك فبادرت في ذلك .. قولى يا ظبية كلمتك من من تفضلين أنا أم المنذر ...

فقالت ظبية : لست سوى عبدة لمولا الملك و ارضي بما يشير إليه ..

فقال المنذر متداركا الأمر : قل يا مولاى قرارك في ذلك ... و إشهد يا مالك على خيانة المحبين و غدر الأخوة ..

فضحك مالك و لم يقل شيئا .. و لكن الملك قال مفكرا : أذكر أن ظبية لديها دلال علينا و لم نعطيها جائزة يوم جمار و اليوم قد حفظت حياة المنذر فألجدى إذا أن نسألها ماتريد ..

فأطرقت ظبية ثم قالت : أطلب حياة من حفظت حياته يا مولاى ..

فقال الملك : حياة المنذر غالية علينا و لا نبذلها بسهولة ..

فقال المنذر : و لكن المنذر قد رضي أن يهبك حياته يا ظبية ...

فتعجب قيس و قال : مولاى لقد إنقلب الأمر علي ..

فضحك المنذر و قال : ليس لك رأئ في ظبية يا قيس فإنسي الأمر .. فظبية أمست اليوم

خطيبتي ..
فقال الملك : قولى يا ظبية أترضين بالمنذر ..؟
فقالت ظبية : أسألك يا مولاى أن تستشير والدى فهو صاحب الرأى بعد مولاى الملك ..
فقال المنذر : أدعو وائل يا مولاى ..
- لا يا منذر .. نسأل وائل في الغد .. و أما الأن فتذهب ظبية لتستريح .. فقد عقد الخجل لسانها .
.. و أنت يا منذر عليك بالصبر ..
تنهد المنذر و قال : نعم يا مولاى .. سألبس الصبر حتي أموت يا مولاى .. و لكني لا أصبر غير ليلة حتي يأتي الغد فقد صبرت حتي عيل صبري ...
فضحك الملك و قال : و الله إنك قد بليت بالغرام يا منذر .. و لكن على الملك أن يرى الصواب في الأمور و إن كانت تعذب القلوب ... و أنت يا قيس سنبحث لك عن فتاة تليق بك ..
فتبسم قيس و أما ظبية فوقفت و قد أخذ منها الحديث كل درجات التحمل و الهدوء .. و إنحنت لتخرج فقال الملك : إذهبي يا ظبية و إنعمي بالرحة .. و غدا نرسل في طلبك لتشهدي باقي حديث الملك مع ضيوف المنذر ..
- سأسعد بذلك يا مولاى ..
و خرجت تجر نفسها جرا حتي ما تجاوزت الحاجب ليث تنفست بعمق .. و نزلت دموعها الحزينة على بارف المنكوب و سعادة ..خطت أول خطوة لتصل للمنذر .. و لم يبق الملك دقائق حتي إنصرف قيس و المنذر ليسريحا و مالك إلى منزله مع زبيد .. و خرج الملك و قال لحاجبه ليث :
في الصباح أدعوا رئيس الخدم... و مسؤول الجوارى و حقق حول دخول تلك الفارسية للقصر ...
- أمرك يا مولاى ..
ظل الملك يفكر في الجزء الأخير من الليل و لم يغمض له جفن حتي بزغ الفجر ..
فإستسلم لسلطان النوم عدة ساعات رأى فيها نفسه يدفن أحد أبنائه .. فنهض فزعا و

حاول أن يتذكر من منهم كان في الحلم فلم تسعفه ذاكرته .. فنفض الحلم من عقله و قام ليرى أمور الحكم و شئون البلاد ..

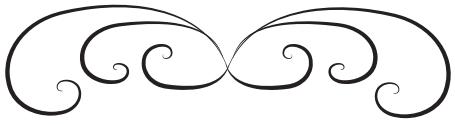

هكذا كان حال الملوك يحزنون ساعة على العبيد الذين يبذلون أرواحهم في سبيلهم ..ثم ينسوهم ليعودا للتفكير في أمورهم و التخطيط لنا يشغل قلوبهن من أطماع و أماني ..
لم تكن زبيبة مرتاحة البال في ذلك الليل بل إن عقلها كان يتخبط في ظلمات التفكير و الحيرة فلم تستطع الراحة فنادت على سلمي و صيفتها .. و كانت سلمي لازالت وصيفة حتي يتم الزواج عندها فقط تكون ولية للعهد و لها وصيفاتها .. خرجت الجارية تدعوا سلمي فلما حضرت رأت وجه الأميرة قلقا فقالت : مالك يا مولاتي تبدين مشغولة العقل .. فهل حصل شيئ في مجلس الملك ..
قالت وبيبة بقلة صبر : سأحدثك بما يشغل بالك.. إن ولى العهد سليم و لم يعرف مولاى بشأن عروة .. و لكن علينا بالحذر يا سلمي ..
- نعم يى مولاتي .. إني أقرأ الشر في عيني عروة .. بل إتي أراه لا يفارق مولاى اليفع أبدا ..
- هل سمعتي بشأن حمزة يا سلمي .. فقد عرف قاتل كوكب أخيرا ..
- حمد الله أن الأمور إنجلت سريعا ..
- لا لم تنجلي كل الأمور .. لم نعلم كيف دخلت الفارسية للقصر و تقربت من كوكب ..
تغلغل الخوف في صدر سلمي و قالت : أيكون عروة من فعل ذلك ..
ضاقت عينا زبيبة و قالت : و ما شأن عروة في ذلك .. أفصحي عن ظنونك ..
سكت سلمي ثم تمتمت : مولاتي .. تعلمين أن عروة قد جعل مولاى اليفع يقع في الخطأ .. إني أراه يلتف كالأفعي حوله ..
- لا تدعي الظنون تشغلك ..فماذا سيكسب عروة من فساد اليفع .. إنه عندها يقع في

دئرة الشبهات فهو الأقرب له و يعرف كل أسراره..و ..
خطر لزبيبة خاطر إهتزت له و هو أن عروة يحاول أن يخرب علاقة الأب بالأبن و يزرع الشك بينهما .. فزفرت بتعب و قالت : لا نعلم لحساب من يعمل عروة و لكن سنكون على حذر منه.. و الأن أنظري هل جاء زبيد فقد دعوناه و لم يحضر بعد..
فقامت سلمي لتنظر فإذا زبيد يكلم أحد العبيد فلما رأته تقدمت منه و قالت : إن الأميرة تنتظرك يا زبيد ..
فتبسم زبيد و قد بدآ على وجهه التعب بعد هذا الليل الطويل و قال : ماذا فعلت حتي تطلبني الأميرة .. بل و تستقبلني ولية العهد بنفسها ..؟
فخجلت سلمي و قالت : كلنا خدم للأميرة و أما أتي ولية العهد .. فلست كذلك و مازلت وصيفة لمولاتي .. تقدم معي يا زبيد ..
فمشي حتي إستئذن في الدخول فلما مثل بين يديها حيته قائلة : لقد حفضت حياة الأمير المنذر و كنت نعم الحارس الأمين يا زبيد ..
- لست سوى عبد لمولاى فإن كان يعتبرني صديقا فإني أعتبره أخا لي ..
جلست سلمي لتسمع حديث زبيبة مع زبيد ، فسكتت زبيبة ولم تدرى كيف تسأل عما يجول في عقلها فقالت : لقد حكمني مولاى الملك اليوم يا زبيد .. و قد سمعت ما راد في مجلسه و لكني لأعجب فقد كان مولاى اليوم حانقا فلم نعلم كيف لفارسية .. و هي زوجة عامل الفرس أن تدخل فتقتل كوكب دون أن يعلم قائد الحرس الملكي ...؟
فتبسم زبيد و قال : مولاتي الأميرة .. إن كنت قائد الحرس الملكي فهذا اللوم يقع علي كوقع السوط على الجلود .. و لكني يا أميرتي لست المسئول عن الخدم و الجواري فهذا شأن أخر .. و لكني أقر لكي أن وراء هذا الحديث أمرا أخر تريديه مني .. فهلا عمدتني لرصراحة يا مولاتي.
فضحكت الأميرة و قالت : نعم يا زبيد .. لقد أردناك لشأن أخر .. أتعرف ما هو ؟
فتبسم بخبث و قال : ربما يتلعق بالفارس الملثم ..أو بسيدتي سلمي ولية العهد.
فبغتت سلمي و أرخت نظرها للأرض فتأكدت ظنون زبيد و قال : إن الرجال بعد القتال ليهفوا الواحد منهم لكوب الشراب .. و لكن الأميرة غاضبة فلم تدعني أجلس

حتي .. فإعطفي علي يا مولاتي ..
فضحكت الأميرة و قد إستلذت حديثه و قالت : زبيد قد أضعفه القتال و لكن نسمح لك بالجلوس يا زبيد ...و أما الشرب فلا تذوقه فنحن نكرهه كما يكرهه الملك .. أرءيت الملك يوما يشرب خمرا في مجلسه .. ؟
فجلس زبيد على وسادة صغيرة و قال : لا يا مولاتي إن الملك يكره الخمر ككرهه لعامل الفرس الذى لا يرتوى قلبه إلا بها ..
فعجبت الأميرة و قالت : أتعرف عن سابور عامل الفرس أكثر مما نعرف ..فحدثنا عن ذلك ..
فهز رأسه الثقيل قائلا : لا يطيب الأن الحديث عنه و لكن ذلك قد علمته من مصدر غريب و لسوف تعلمينه في الصباح حالما يفتح البلاط يا مولاتي .... إن الرجل الملثم يسقص ما لديه في الصباح و لن يطول الأمر حتي تعرفي كل ما ترغبين ..
فقالت بمكر رافعة حاجبها : أرى أن زبيد يعلم ما في قلوبنا أكثر منا .. فقل لنا ماذا ترى في عيني ..؟
فركز وبيد نظرة في وجه الأميرة و لكنه أنزل رأسه فورا و قال : إن الأميرة ترغب أن نبحث لها عن الفارس الملثم .. الذى ترك لها فرسها المنقط البديع ..
- و إن أمرناك بذلك ..أتجده يا زبيد ..؟
فامعت عينا زبيد و قال : لا يا مولاتي .. لأن ذلك الفارس سيأتي وحده ليطلب الجائزة ..
فقالت الأميرة و هي تكتم ضحكتها : و ما هي الجائزة أيها الداهية ..؟
فسكت زبيد و إدعى الجهل بها و قال : من يعلم يا مولاتي ماذا يجزيه الملك ..؟
فقالت الأميرة و قد أحست أن زبيد قد كشف عن رغبتها : لنعد لحديثنا الأول ..
فقال : و هل مازلنا في أوله ..؟
- نعم .. و مازلنا سنسهر طويلا يا زبيد .. أم أن النوم قد سرق عقلك ..
فقال زبيد : إن ساعة أقضيها بالنوم الأن أشتريها بحياتي يا مولاتي .. و لكني عبد مؤمور ..
- إذا نسألك سؤال واحدا ثم تخرج كي لا تموت أمامنا ..

- كلي أذان و عيون يا مولاتي ..
- من دفع المال للعبيد لينشورا الإشاعات و الآحاديث عن المنذر .. و يوغروا صدر بني ثعلبة على الملك و الأمير ..؟
- كثيرون الذين يتحدثون حول ذلك يا مولاتي .. و الأكثر الذين ينقلون الأحاديث فتتحول لحقيقة بشعة ..
- و الله إن النوم قد أذهب عقلك يا زبيد .. فقل هل لعروة يد في ذلك ..؟
فلمعت أعين زبيد و قال : في الأمر شك يا مولاتي و لكن عروة نديم ولى العهد .. و لا أظنه قد يقدم على عمل دون معرفة ولى العهد .. و هذا الأخير أخ للأمير المنذر ..
فعلمت الأميرة أن لا فائدة من الحديث معه فهو لن يقول حرفا واحد .. و لابد أن قيس و المنذر قد شددآ عليه كي لا يفضي بحقيقة الأمر لأحد .. فقالت : أما الأن فعد لغرفتك يا زبيد و لكني أمرك أن تظل حول المنذر و لا تترك جابنه أبدا ..كن عونا له على الأيدى الخفية ..
- سأقطعها يا مولاتي .. و لكن للأمور أوقات لا يجب أن نستعجل في حظورها ..
- عد لغرفتك فالتعب أذهب بعقلك ..
فخرج زبيد مبتسما و هو يتمتم : لقد أصبحت حارسا للقصر في الصباح و الأن أمسيت حارسا للمتأمرين .. فليعني الله ..

{٢٦}

- يا ليث أدعوا الأميرة و الأمراء كلهم و وائل .. و ليدخل كل رجال البلاط الذي كانوا بالأمس لنكمل الحديث .. و أدعوا ظبية أيضا ..

و لم تمضي ساعة حتي إكتمل المجلس إلا من الملكة فلم تحضر.. و لم يطلب الملك دعوتها و فهم أنها لا ترغب في الحضور ..

- أما الأن فأخبرنا يا مالك بالذي في العراق و لا تخفي عنا شيئا ..

فقال مالك : خرجت يا مولاى مع عبد على ناقتين في طريقنا للحيرة عاصمة العراق .. فوصلنا إليها بعد عناء و طول سفر و أخذنا نطوف نبيع و نشترى الأعواد و القرفة و الطيب و نقتص عن أحوال العراق .. و سمعنا أن سابور يريد أن يشهر سيف على مولاى الملك بل إن أحد قواده قد شاع عنه أنه أخذ يتبجح قائلا ..: سنكسر عرش عرين الظبعي و سنهاجمه بالأفيال في الحوارن و ندكها عليه دكا ..

فإستوى الملك في جلسته و قال : سنرى حول ذلك أكمل يا مالك ...

علت أعناق القوم و أنصتوا للحديث فقال مالك : و لم تمضي عدة أيام على دخولنا الحيرة يا مولاى.. حتي جلست يوما مع العبد فجاء رجل يطلب بعض الماء فأغثناه ... و جلس يحدثنا عن الحيرة و عظمتها و عن سابور و الأمور التي تحدث في مجلسه ..و قد كان كل ما سمعته يا مولاى غريبا و إن كان فيه بعض الصدق .. فقد حكي لى الرجل أن سابور قد طلب معونة أمراء نجد و بعث لهم بالرسل سرا .. *و لكن إثنان منهم قد تقاتلآ على الملك فقتل أحدهما و قام الأمير الأخربإظهار الندم على فعلته هذه .. و لكن هيهات أن ينفع الندم ..

فقال الملك : و من هما يا مالك ..؟

- هما شرحبيل أمير بكر و سلمة أمير تغلب .. و قد مات شرحبيل يامولاى و بنو بكر الأن حائرون..

فقال عمر قائد الرماه : إن أخبار حربهما قد وصلت لسابور .. و لا شك و لا أستغرب إن كان هو من أنشاء هذا الخلاف بينهما ..

فقال الملك : نعم إن للحارث ملك النجد أربعة أمراء أذكرهم يا عاصم ..

فقال عاصم : هم .. شرحبيل بن الحارث أمير بكر ، و سلمة بن الحارث أمير تغلب ، و حجر بن الحارث سيد بني أسد ، و على حدود نجد معدى كرب بن الحارث أمير قيس عيلان .. الذى لا يهتم إلا بأكل التمر ..

توضيح *(قصة أمراء النجد الأربعة أبناء الحارث حقيقة و إقتبستها المؤلفة من رواية الحارث الأكبر الغساني)...

فهز الملك رأسه مستزءا بهم و قال : هذا هو حال نجد بعد موت الحارث .. فأولاده الأربعة منقسمين متفرقين فإثنان يتقاتلان و واحد يأكل التمر و لا يبالي بهم ، و أخر لم يقل شيئا عنهما أيضا .. فهل فعل شيئا سيد قيس عيلان لما سمع بخبر موت شرحبيل ..؟

فقال مالك : لم يزد على قوله رحمه الله ..

قال المنذر مكشرا : مثل هؤلاء الأمراء لا تنتظر منهم أن يبنو ملكا .. لن يطول الأمر حتي يمحى ذكرهم من الوجود ..

فقال الملك : و ماذا رأيت من حجر سيد بني أسد ...؟

فقال مالك : لم أعلم من أحواله شيئا يا مولاى ..

تعجب الملك و قال : فكيف عدت و لم تكمل مهمتك يا مالك ..؟

فقال مالك : إن زميلي يا مولاى قد سكر حتي طار عقله فأفشئ أسرارنا و شك بنا ذلك الرجل ، فذهب عنا و قد شعرت بالشر فلما أتي الفجر أردت الخروج .. فوجدنه قد أتي من بعض الجنود و أحكموا وثاقي و العبد يا مولاى قد خاف على نفسه فحاول الهرب .. و لكن سنان الرماح كانت ثمنا له و مات فقادوني لمجلس سابور عامل الفرس ..

سمع صوت الأنفاس في القاعة و قد كان مالك يتحدث فلما ذكر مجلس سابور تغير وجه الملك و قال بلهفة : حدثنا عما رأيت و كيف خرجت حيا بعد أن عرفوا أنك جاسوس عليهم ..

فقال مالك مبتسما : لم أخرج حيا يا مولاى .. و لكن هذا الرجل الملثم قد أنقذني و حفظ حياتي ..

ثم قص على الملك لقائه بملك العراق عامل الفرس حتي رفع الجلاد سيفه و قال : ثم وقف رجل و قال : أنا أضمنه يا مولاى .. أن يكون عونا لنا و يساعدنا على عامل الروم ..

فقال سابور ناظرا للرجل و كان جالسا في بلاط سابور : أتظمنه ..؟

فرد الرجل : نعم يا مولاى .. و إني أحتاج له فإن أردت أن أدخل بلاط عرين مرة ثانية دون أن يشك في القوم.. فنحتاج له يا مولاى ..

ثم أخذ سابور يدبر أمره و يستشير ندمائه و رجال بلاطه حتي قرر الإبقاء على حياتي .. و يرسلني مع الرجل جاسوسا على عرين ملك الحوران و البلقاء ...

فإهتز الملك و قال : من هذا الرجل يا مالك ..؟

فأشار مالك على الرجل الملثم الجالس قربه و قال : هذا هو يا مولاى .. و نحن جاسوسان عليك بعثنا سابور ..

فضحك الملك و قال بلهفة : الان نرى وجهك .. فأسفر ..

فلما أزال اللثام عن وجهه تزلزل البلاط و ننض الملك متفاجئا .. و كان المنذر و مالك و زبيد مبتسمين و أما زبيبة فقد طارعقلها و دهشت مما رأت .. أتصدق عينيها أم انها تحلم .. و نهض حمزة متفاجاء و قال : و الله لقد شككت بك لما سمعت صوتك بالأمس ..

فضل الرجل يبتسم و كادت دموعه تنزل لولا أن تمالك زمام نفسه و قال : نعم إنه أنا .. لبيد بن حمزة الثعلبي ..عدت من عالم الاموات لأخدم مولاى الملك عرين .. عدت و رأيت أختي كوكب قد صرعها الموت ..

فأخذه حمزة بين ذراعيه يحتضنه غير مصدق لما يرى .. أهذا لبيد إبنه الذى يظنه ميتا .. فعاد الملك و تمالك نفسه ليجلس و قال بذهول : فماذا رأيت في عالم الأموات يا لبيد ..؟

فجلس لبيد و حمزة و قال لبيد : رأيت العجب يا مولاى .. فإسئلني أقص عليك الخبر .. فقال الملك : قل أولا كيف مازلت حيا.. ؟ و قد رأيناك تسقط و الرمح في صدرك للفرات يا لبيد في ذلك اليوم المشؤوم ..

رأت ظبية يدى الأميرة متعرقتين و ترتجفان فتحيرت منها و أمسكت بيدها تطمئنها .. و لكن هذا القلب في صدر الأميرة لم يكن ليهدأ و قد رأت لبيد حيا .. نعم إنه حي أمامها الأن.. و قد ظنت سابقا أنه ميت .. لقد كان لبيد خطيب الاميرة و لكن عندما ظن الملك أنه مات .. رفضت الأميرة أن تناقش الأمر و إحترم الملك رغبتها هذه.. نعم لقد

مات قلبها معه و لم تعد تشتهي في الحياة سوى أن ترى طيفه يزورها في أحلامها و لكم ودت الأن أن تهرب من هذا البلاط و لكن لا سبيل لذلك الأن ..أما قيس فكان يعلم بالأمر لأنه شك في الجارية الفا سية طلب من زبيد أن يراقبها .. و عندها علم زبيد أن لبيد قد عاد و خططا معا و لكن موت كوكب قد عقد الأمور.. و أما اليفع و العروة فقد كانآ منصتبن بصمت و لم يكن في خلدهما أن يحدث شيئ كهذا .. و لكن الملك في قلبه و عقله قد سعد جدا ...لأنه يعلم أن لبيد فارس شهم و لن يخون الملك..

قال لبيد : لقد سقطت في الفرات نعم يا مولاى ..

.. و لكن رجلا من أهل العراق قد سحبني فور سقوطى .. فلما عادت صحتي و عافيتي لى سألت الرجل الطيب من يكون و لماذا أنقذني .. فقال أن إسمه قابوس بن عوف العرقي ..

إنتفض حمزة لما سمع الإسم و قال : قلبوس بن عوف .

فقال الملك : و من الرجل يا حمزة نراك تعرفه و تكتمنا أمره ..

فقال حمزة : و الله يا مولاى لو لم يكن من اهل العراق لكان أخلص مني لك .. إنه صديق قديم كان قد نشاء بينه و بين إحدى القبائل عدواة .. فلجاء لى فأمنته و مكث عندي شهورا و توثقت عرى الصدقة و الأخوة بيننا و كان ساعة فراقنا حزينا جدا .. و لكن لا سبيل لبقائه فعاد و لم ينسي صداقتي القديمة ..

فقال الملك : نعم الرجل الامين الصادق الوجدان .. و بعد يا لبيد ..؟

- فلما سمعت بإسمه إطمئن قلبي و أدركت أني نجوت لأني أعرفه و قد كان والدى يشيد بذكره دوما بأحسن الألقاب و يذكره بالنبل و الشرف و السمو ... و لكني لم أخفي عليه يا مولاى أني عدو له فقال : و إن كنت نفسك ملك شام و الله لأردن دين والدك و لا يمسك ملك العراق بسوء و أنا حي ..

فنسح حمزة دمعة فرح تسللت من عينه فرحا و تأثرا .. و قد أحس أن صدره يضيق به من كثرة السعادة .. فبعد موت كوكب و قد أخذ بثأرها بالأمس يعود له إبنه الأكبر حيا يرزق .. عاد حمزة ليركز على حديث إبنه لبيد ..

- و قد فعل ذلك يا مولاى .. و كنت أفكر أن أهرب و أعود لحوران و لكن وفدا من

سابور حضر للرجل يدعونه ليحضر أمامه .. فلما رأوني و شكوا في أمرى إضطررت للخروج معهم ..

فقال الملك و قد تنبه ليسمع ما حدث في مجلس سابور : أمن خاصته الرجل ..؟

- نعم يا مولاى .. إنه نديمه و حامل سيفه في الحرب ..

- و مثلت أمام سابور ..؟

- أئ و الله فعلت يا مولاى .. بل أصبحت من خاصته و رفعت في سبيله السيف و قاتلت في صغوف جيشه..

فعجب الملك و تحلقت العيون ترقب رد فعل عرين على ذلك .. تبسم الملك و قال : أفعلتها يا لبيد ..؟

- نعم يا مولاى .. و كان علي ذلك و إلا كان قتلني و ما كنت لأبالي لو قتلت .. و لكن قابوس تحول من نديم الملك إلى رهينة لديه فكبر في نفسي أن أقذف بالرجل المحسن إلي و حافظ حياتي إلى أشواق الموت و الهوان ..

ففال المنذر : و كيف وجدت سابور في مجلسه؟

فرد لبيد بهدوء : وجدته قاسي القلب جبارا و مغرورا .. و لكنه يملك عقلا فذا و كلاما ساحرا يلقيه على أتباعه فينقاذون ليلبية أوامره و رغباته دون إحساس أو شعور بالذنب .. إنه طاغية في الحرب يا مولاى و يستعمل المكر و الخديعة و يشرب الخمر حتي لتري الخمر تكاد تخرج من وجهه .. و لكنه لا يفقد رشده مع الخمر بل تزداد عيناه توقدا فلا يرتوى إلا بدم يسفكه و إن كان بريئا .. و هو رغم خيلاءه يكره التكلف في اللباس و يحب البلاغة و الصراحة في الحديث ،، فلما رأى أني ثابت و لم أكذب أو أزور عن نفسي .. قال : و الله لإن كنت جاسوسا من عامل الروم لا أقتل لسانا مثل لسانك ...ثم قربني و لكن قابوس ظل رهينة في القصر الملك لا يخرج أو يدخل إلا بإذنه

.. فقال لي : أبعثك لتستطلع أخبار الشام و الحوران فإن عدت وثقنا بك و إلا فرأس قابوس سيرمي الفرات ..

فقال الملك و قد علت وجهه إبتسامة : و بما أجبت يا لبيد ..

- أجبت يا مولاى : كنا في طاعة ملك الشام فأصبحنا في طاعة ملك العراق ..
فهاج سابور و قال : عامل الروم يا إبن حمزة .. فهو عامل على بعض البادية فب الشام تجئ و تروح ..
فظلت إبتسامة الملك على وجهه و قال : و عدت لتتجسس علينا و تعود لتحفظ رأس منقذك ..
فقال لبيد و قد فهم لما يكلمه الملك بهذه الطريقة فهو لم يثق فيه بعد : بل وفيت بوعدى و قابوس الأن في آمان و لست قلقا عليه ..
فعحب المنذر و قال : كيف ذلك يا لبيد و قد أسلفت أن قابوس رهينة عند الملك ..
فقال لبيد : لقد عدت يا مولاى فقابلت في طريقي زبيد فكلمته بسرية .. و عرفت عندها أن جاسوسا لسابور قد وصل لبلاط الملك .. و لم يعلمني سابور بذلك ليعرف إن كنت حقا صادقا في ولائي له .. فحصلت على الرسالة ألتي كان إياد يريد إرسالها لسابور و أعطيتها لزبيد..
فلمعت عينا الملك و قال : و قد إستعملت علمك لخيانة إياد لتثبت وفائك لسابور ...
فهز لبيد رأسه نفيا و قال : بل قلت له عن عدد الجيش الذى أعددته يا مولاى .. و عرفت كل ما أحتاجه لأحفظ حياتي أيضا و لم أبخل على سابور بالمعلومات .. و لكني لم أطق أن أرحل و أترك خائنا في بلاط الملك و بينما كنت أنتظر ليحضر زبيد و أعطيه رسالة الخائن ... ظهر أمامي رجل يمني ..
فلمعت أعين المنذر و الاميرة و قال الملك مستويا على عرشه ناظرا لزبيد : عرفنا الأن أن قائد الحرس من جملة المتأمرين أيضا .. و لكن الصبر لنسمع باقي الحديث و ينجلي الغموض .. أكمل يا لبيد ..
فقال زبيد متمتما : حسبي رضاك يا مولاى ..
تجاهله الملك مصغيا ل لبيد الذى قال : و تبينت فيه فارسا يمنبا ليس من أهل طاعة مولاى الملك .. و أحسست بالشر منه فحدثته و لكني لمحت الأميرة و قد كانت مصابة فحاول اليمني أن يهرب فصارعته .. فمات بين يدى و أرسلت الأميرة آمنة للقصر مع فرسي المنقط ..

فقال زبيد هنا : و لما سمعت أن يده عليها ندبة رمح عرفت فيه لبيد .. فطفقت مدة سبوع أبحث عنه حتي وجدته و أعطاني دليلا على خيانة إياد لمولاى الملك ..
فقال الملك و قد إختفت إبتسامته : عليك بيده يا زبيد ...
فقام لبيد بنفسه بالكشف عن ذراعه ليرى الملك أثر الندبة .. فسكت .. أما الأميرة فعرفت عندها لماذا كان الفارس يرتجف لما كلمها .. و لما شعرت أنها تعرف تلك الأعين الكحيلة .. و حانت من لبيد إلتفاتة فنظر للأميرة و رأى في عينيها كل معاني الألم و الحنين .. و عاد ينظر للملك الذى قال : و أنت الأن تقول أنك قد فعلت كل ذلك في سبيل رضانا .. و خاطرت بحياتك لوفائك و إخلاصك لنا .. فإعلم إننا لا نصدق ذلك و لا نبالى بالمعروف يبديه لنا خائن متلون لعشيرته و بلاه .. و لولا حفظك لحياة الأميرة ... نعم لولا ذلك لقطعنا عنقك و لكننا لا نقتل سفراء و رسل الأعداء .. فإعطه يا عاصم فرسا و حزمة من الفضة و طعام و ليخرج اليوم فلا نريد أن نرى وجهه أبدا .. و أرسل سلامنا على عامل الفرس و قل له هنيئا لك بهذا النبيل الشاب يفديكم بالمهج ..
فنهض حمزة خوفا و ركع عند قدمي الملك يقول : إرحم كبرى و قلة حيلتي يا مولاى .. أترسل لبيد للعراق بعد أن عاد أخيرا لحماك يا مولاى .. إن عفوك و إباء نفسك ليغلب على غضبك ..
فلم ينظر إليه الملك ، فقام قيس و المنذر يشفعان له و لكن الملك أغلق أذنيه و لم يرد أن يسمع شيئا .. و كيف له ذلك و قد تحول لوحش ضار لا يرحم و لا يلين فقال لبيد بشجاعة و دون خوف : إن كنت قد أثقلت عليك يا مولاى فعذرا ألف عذر لى .. و إن كان حفظكم لحياتي لما فعلت من إنقاذا لأميرة فأنسي يا مولاى .. و إقطع عنقي فهذا أفضل من أن تقول العرب أن لبيد عاد حيا ليخون مولاه .. و يمرغ رأس والده و إسم عشيرته في التراب .. لا يا مولاى فأسمع ما فعلت أيضا لنيل رضاك فقد عدت للعرق ثانية .. نعم و عاد قابوس لمنزاه آمنا و حرا و كنت مخيرا في الهرب و البقاء .. فبقيت يا مولاى .. نعم لقد فضلت البقاء و حاربت مع سابور ضد قبائل نجد بني بكر .. حتي خضعوا له جميعا و أصبح سيدا لنجد و طاب له عندها أن يرسلني جاسوسا .. فدخل عليه بعدها بأيام مالك بن أنبل و عدنا معا لهنا .. لترى يا مولاى حكمك و تمشى عدلك

و يسقط يوطك على رقابنا ... ما كنت أرجوا أن أضرب بسيفك و لكن بسيف سابور فأموت حرا أبيا وفيا و أرفع رأس هذا الشيخ حمزة الذي يركع أمامك .. بطلب منك العفو عن وفائي و إخلاصي ..و لو كنت هربت لكان سابور بحث عني فورا و علم بذلك فعمد لرأس قابوس و أطاره ..

نظرت الأميرة للملك بشفقة و يأس و قد نزلت دمعة حارة من عينها .. و قد عصرت يديها بقوة فتحولتا لقطعة من لحم حمراء .. و ظلت ظبية صامتة تنظر لهذا الملك الذى كان في أخر الليل لينا و لاترى ثغره إلآ مبستسما .. تراه الأن يكاد يثب على لبيد ليفترسه بأنيانه .. و أمسك المنذر بيد الملك يقبلها بإحترام و خضوع قائلا : مولاى .. .. إنه في حماى .. إنه ضيفي ..

فلم ينظر إليه الملك بل قال : خير لك لو بقيت في العراق تنعم برضي سابور و حبه من أن تعود هنا فتفتح جراح هذا الشيخ الكبير ألذي يبكيك الأن ..

فقال لبيد : بل حسبي أن العمر و الشيب الذى قضاهما في تربيتي لم يظع سدا .. لكن الأبن يمشي على خطى أبيه .. و قد علمي أبي أن الحق يقال بصوت قوى و عال ليسمعه الجالسون على العروش ...

فقال الملك لعمر : يا عمر أحضر سيفا ..

فإهتز البلاط خوفا .. و قامت الاميرة تبكي و قالت : مولاى .. هبني حياته يا مولاى ..

فلم ينظر إليها الملك بل كان جالسا كالصنم لا يسمع إلا لصوت نفسه .. فخرج عمر و أحصر سيفا و ضعه بين يدى الملك .. فقام الملك إلى لبيد الذي خفظ رأسه ليتلقي الضربة بعنقه ساكنا مطمئنا .. و تجمد حمزة في مكانه فزعا و أما المنذر فوقف و كذلك قيس و قالا : مولاى ... مولاى .. أطلب أن تعفو عنه ..

و لكن الملك وقف فوقه و رفع السيف بعد أن فتحه و نزل به على الأرض فأصدر صوتا وقع السلاسل الحديدية و قال بحزم : إنهض يا لبيد .. فقد عفونا عنك و عرفنا في صدرك الوفاء و الإخلاص ..

فرفع لبيد رأسه للملك مصدوما و قال : مولاى ..

تابع الملك كلامه مبتسما : لا يجدر بسيد بنى ثعلبي أن يظل جالسا و الملك يدعوه للوقف ..

فوقف لبيد بسرعة فقال الملك : يا لبيد بن حمزة الثعلبي .. أنت منذ اليوم حامل سيف الملك و سيد عشيرتك و نمثل في بلاط الملك و نديمنا أيضا .. و يسمح لك بحمل السيف في حضرتنا ..

ثم ضحك و قال : فهل أحسنا إليك أم تزيد في الدلال ..

زفرت الأميرة إرتياحا و جلست و الدموع قد بللت وجهها ..و ظهر البشر و السرور على وجوه الرجال .. فركع لبيد و حمل السيف من يدى الملك و قال : مولاى أقسم برأسي و رأس أبي أني حتي أخر نفس يتردد في ..لن أجرد هذا السيف إلا في سبيلك و لنيل رضاك ..

فتنهد المنذر إرتياحا، و عاد ليجلس قيس و قد كانآ سيتوقف قلبهما من الخوف .. و أما ظبية كانت تبكي أيضا متأثرة بخوف الأميرة و أخذت تمسح وجه الأميرة بيديها و هي تضحك .. و قد هدأت مخاوف القوم و علا صوت الرجال بالدعاء للملك ...

يتبع في الجزء الثالث ..

مملكة الضباع 2

ضيبة تأسر قلب المنذر

لما خرج سمع أصوات الخيل و الفرسان و رأى غبارا يتصاعد تحت ضوء المشاعل أمام القصر، فتقدم ليستقبل الوفد فرأى على النعامة فارسا لم يعرفه حاملا بين يديه جسد الأمير المنذر مضجرا بالدماء، فصرخ عاصم فزعا: وبكم، ماذا جرى لمولاى المنذر؟

فنزل زيد و تلقاه عاصم من تلابيبه و رفعه حانقا: أترافق المنذر و تحضره ميتا.. بئس الحارس أنت.

ثم دفعه عنه ليرى المنذرة تلقاه من الفارس الذي يركب النعامة، و كان عمر و ليث قد إلتقوا مع هؤلاء الفرسان و صحبوهم، و على وجوههم قمامة سوداء و قد برح بهم ضيق حتى أن بعضهم ظفرت من عينه دمعة، ظل زيد هادئا و قال لعاصم: إستئذن لنا لنرى مولاى الملك.

فلم يرد عليه عاصم بل حمل الميت و تناقلته الأيدي و وضعوه في غرفة صغيرة.. و وضع عليها زيد حارسين و مشى لبلاط الملك عمر و ليث صامتين، و عاصم تعلو وجهه نظرات الصدمة و زيد أمامهم فدخل ليث و قال: مولاى الملك لقد حضر مولاى المنذر و زيد.

ثم سكت فرأى الملك أن يطمئن على المنذر فقال: حسنا فعلت، فليدخل أميرنا المنذر و زيد.

فسكت ليث، فقال الملك و قد إنتابه الخوف: ويحك، أين المنذر!.

أسماء الأوجلي

Sundus Mohammed
تصميم الغلاف